ثنائية المواقف الفكرية
والعسكرية والتاريخية
بين خالد بن الوليد وعمرو بن العاص

أ م د عبد الرحمن إبراهيم حمد الغنطوسي

ملخص البحث

هذا بحث موجز في (ثنائية المواقف الفكرية والعسكرية والتاريخية بين خالد بن الوليد وعمرو بن العاص) والأبطال تعرف من مواقف الرجال. اعرف الحق تعرف أهله إذ لا تزال الحياة العلمية والفكرية مكتظة بالمعارك الخلافية ، لكن يبقي أصناف من الناس لديهم قابلية للفهم والاقتناع لما لهم من المقومات الفكرية والشخصية كخالد وعمرو لقد وضع الإسلام القواعد الحكيمة للحفاظ على المبادئ القويمة التي تدرأ عنها المواقف.

فهذا البحث تناولت فيه ضوابط وآداب المجتمع الإسلامي من خلال مآثرهم ، وهو موضوع عظيم الأهمية في حياتنا اليوم في زمان تلفق لرجال الإسلام كل تهمة وعيب زوراً وبهتاناً، وكأن الأعين قد عميت عن أمثال هؤلاء الرجال ، لاسيما بعد عقود من تخبط البشرية بين نظريات الشرق والغرب وتُرَّهات الفلاسفة والأخلاقيين الموهومين، فإذا بالعالم اليوم أشد تخبطاً بعد هذه النظريات منه قبلها، وبات لزاماً علينا معشر المسلمين أن نبين للعالم كنوز هذين الرجلين وروائعهم الفكرية والعسكرية فإن من أوجب الواجبات، وأعظم المسؤوليات، وأكبر الأمانات أن ننزل الناس منازلهم قال تعالى: (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ)

خطة البحث

المقدمة: وبينا فيها سبب اختيار الموضوع. و أهمية الموضوع. والمنهج في كتابة البحث. –

المبحث الأول: حياتهما وآثارهما.

المبحث الثاني: ثنائية إسلامهما.

المبحث الثالث: ثنائية المواقف الفكرية والعسكرية لهما.

المبحث الرابع: ثنائية رواية الحديث لهما.

الخاتمة: تضمنت أهم النتائج والتوصيات لحياة الصحابيين الجليلين

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله عَلَى سيدنا محمد خير خلقه وآله وصحبه أجمعين، حسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إِلاَّ بالله العلي العظيم.

Abstract

This is a brief look at the (bilateral intellectual, military and historical positions between Khalid bin Walid and Amr ibn al-Aas) and heroes know of men›s attitudes. I know right know his family, as is still the scientific and intellectual life, overcrowded battles controversial, but keep the varieties of people have the ability to understand and conviction, what their constituents intellectual and personal Kkhald Amr, Islam has laid wise rules to keep the orthodox principles that can ward off her attitudes;

it Find dealt with the rules and etiquette of the Muslim community through their exploits, which is great important theme in our lives today in the time of fabricating the men of Islam each charge and defect falsely, as if the eyes have blinded for the likes of these men, especially after decades of human floundering between the East and the West, theories and Atraat philosophers The moralists Almouhouman, if the world today more confusion after these theories from him before, and is necessary for us O Muslims to show the world the treasures of these two men intellectual, military and masterpieces, it is important duties, and the greatest responsibilities, and the largest deposit to go down people›s homes, he says: (pays wisdom wills and wisdom borne Otti lost a lot of good and mentioned only Ulloa kernels)

Research Plan

Introduction: we showed the reason for choosing the subject. And the importance of the subject. The approach in the writing of research. -

First topic: their lives and their effects.

The second topic: Two they became Muslim.

Section III: bilateral intellectual and military positions for them.

Section IV: bilateral modern novel for them.

Conclusion: it included the most important findings and recommendations to the life Asahabeyen Aljalilin

Praise be to Allah, and Allah bless our Prophet Mohammed Khair his creation and his family and companions, God and yes agent, and no strength except in Allah Almighty.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد. . .

إن الله أعلى مراتب الصحابة الأعلام، وزكى منهم العقول الراجحة والأحلام، ومنحهم مآثر تقصر عن جمعها المحابر والأقلام، وأنواء علومهم وأفكارهم ومعارفهم وآدابهم أضاءت بها الأمصار والأقطار، وأطلعهم على حقائق الأسرار وهداهم وهدى بهم في مشارق الأنوار وبعد، فهذه كلمات ورقائق، لا تُخلفُ ظنَّك، وسلوى مفصحةً لك عن حبٍّ يملأُ صدرك، ورجاءً باسماً ثغره يرفع قدرك، فخذها بقوة وتصديق من ثنائية الفكر اليسيرة في لطائف رجلين من سادات العرب في الجاهلية والإسلام، وقائدين عرف التاريخ الإسلامي قدرهما، فهما يملكان عبقرية نادرة، وحُنْكة بالغة، وجرأة وشجاعة فائقة، خالد بن الوليد فلم ينهزم في أي معركة خاضها مدى حياته، ومعاركُه زهاء المائة، لتميزه بعقلية نيّرة، وخبرة ميدانية حربية واسعة، يضع الخطة الحربية المحكمة، ويلحظ كل مقومات الإستراتيجية المطلوبة، كان أحد أشراف قريش في الجاهلية وكان إليه القبة وأعنة الخيل في الجاهلية ،وعمرو بن العاص هو البطل المشهور والفارس المأثور، صاحب الفتوحات العظيمة والغزوات الكثيرة ومن الفاتحين في الإسلام، وهذا أقل ما قلنا من كلمة الحق في مواقف الرجال، وما أكثر ما قصرنا في القول الفصل والكلمة الصريحة والعمل الجاد، وبعد أن كانت دولة الإسلام هي الأولى في العالم في كل شيء: سياسياً وعسكرياً وعلمياً وحضارياً، وكانت شمس الحضارة وزهرة الدنيا تحمل النور للعالم وتبدد ظلمات الجهل وتعمل على تحرير الإنسان من ظلم الظلام، فهذا بحث موجز في (ثنائية المواقف الفكرية والعسكرية) والأبطال تعرف من مواقف الرجال. اعرف الحق تعرف أهله، إذ لا تزال الحياة العلمية والفكرية، مكتظة بالمعارك الخلافية، لكن يبقي أصناف من الناس لديهم قابلية للفهم والاقتناع، لما لهم من المقومات الفكرية والشخصية كخالد وعمرو، لقد وضع الإسلام القواعد الحكيمة للحفاظ على المبادئ القويمة التي تدرأ عنها المواقف؛ فهذا البحث تناولت فيه ضوابط وآداب المجتمع الإسلامي من خلال مآثرهم، وهو موضوع عظيم الأهمية في حياتنا اليوم في زمان تلفق لرجال الإسلام كل تهمة وعيب زوراً وبهتاناً، وكأن الأعين قد عميت عن أمثال هؤلاء الرجال، لاسيما بعد عقود من تخبط البشرية بين نظريات الشرق والغرب وتُرَّهات الفلاسفة والأخلاقيين الموهومين، فإذا بالعالم اليوم أشد تخبطاً بعد هذه النظريات منه قبلها، وبات لزاماً علينا معشر المسلمين أن نبين للعالم

كنوز هذين الرجلين وروائعهم الفكرية والعسكرية، فإن من أوجب الواجبات، وأعظم المسؤوليات، وأكبر الأمانات أن ننزل الناس منازلهم، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ وتراجم الصحابة تزيد في الإيمان وتثبت اليقين وترفع همة السائرين إلى الله تعالى حتى يبلغوا المراتب العلى والذروة القصوى، فكيف إن كان الرجلان بلغ بهما الذروة في شجاعة السنان واللسان، هذه الإشارات والدلالات كانت السبب في اختيار هذا الموضوع وكذلك يعود إلى أمور منها: لم أجد حسب علمي من أفرد بحث مستقل يبين فيه ثنائية المواقف بين خالد وعمرو رضي الله عنهما، ويكشف هدفه وغايته فلعلي أسهم بجهد المقل في بيان ذلك والبحث العلمي لذاته، فهو مقصد نبيل يقصده العلماء. أما أهمية الموضوع فيمكن بيانها في الحديث عن الصحابة وبيان آثارهم في كل تصرفاتهم وسماتهم، وقد نهجت في كتابة هذا البحث المنهج الآتي:أذكر أقوال العلماء والفقهاء في المسائل المتعلقة بخالد وعمرو، والحرص على الأمانة العلمية في نقل المعلومات والأقوال والأدلة من المصادر والمراجع، والاعتماد في نقل المعلومات على المراجع والمصادر المعتمدة في كل الأقوال منها، وكذلك استعنت ببعض ما كتب حديثا عنهما، إذا نقلت المعلومات من المراجع بالنص جعلتها بين قوسين تمييزا لها. والتعريف بما يحتاج إلى تعريف من مفردات غامضة، وأسماء أماكن وردت في البحث، وعناوين البحث، وكل ذلك في الهامش، ومراعاة قدر الإمكان قواعد اللغة في كتابة البحث، وعزو الآيات الواردة في البحث إلى السور وبيان أرقامها. وكذلك تخريج الأحاديث والآثار من كتب السنة المعتمدة، ونقل أقوال أهل العلم في صحتها أو ضعفها ما استطعت إلى ذلك سبيلا، إلا ما كان في صحيح البخاري ومسلم أو أحدهما فاكتفى بتخريجه منهما أو من أحدهما فقط. لذا اقتضت خطة البحث في هذا الموضوع أن تكون في مقدمة، وأربعة مباحث وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:المقدمة:وبينا فيها سبب اختيار الموضوع. و أهمية الموضوع. والمنهج في كتابة البحث. -وخلاصة خطة البحث جاء المبحث الأول وفيه مطلبان عن حياتهما وآثارهما، وكشف المبحث الثاني عن ثنائية إسلامهما، ووقع المبحث الثالث عن ثنائية المواقف الفكرية والعسكرية لهما وكان الأخير لثنائية رواية الحديث لهما واتبعنا البحث بخاتمة ومن خلال هذه الدراسة صورنا فيها أهم النتائج والتوصيات لحياة الصحابيين الجليلين والحمد لله رب العالمين، وصلى الله عَلَى سيدنا محمد خير خلقه وآله وصحبه أجمعين، حسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم.

المبحث الأول: حياتهما وآثارهما

المطلب الأول: عمرو بن العاص حياته وآثاره:

عمرو بن العاص (٥٠ ق هـ - ٤٣ هـ = ٥٧٤ - ٦٦٤ م) بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن كعب بن لؤي القرشي السهمي، يكنى أبا عبد الله، ويقال أبو محمد. وأم عمرو هي بنت حرملة سبية من عنزة، وذكروا أنه جعل لرجل ألف درهم على أن يسأل عمرو بن العاص عن أمه وهو على المنبر، فسأل ذلك فقال: أمي سلمى بنت حرملة تلقب النابغة من بني عنزة، ثم أحد بني جلان، أصابتها رماح العرب، فبيعت بعكاظ، فاشتراها الفاكه بن المغيرة، ثم اشتراها منه عبد الله بن جدعان، ثم صارت إلى العاص بن وائل[(١)]، فولدت له، فأنجبت، فإن كان جعل لك شيء فخذه.[(٢)] كان عمرو بن العاص مجاهدًا شجاعًا يحب الله ورسوله، ويعمل على رفع لواء الإسلام ونشره في مشارق الأرض ومغاربها، ...وكان رسول الله يعرف لعمرو شجاعته وقدرته الحربية،[(٣)] فكان يوليه قيادة بعض الجيوش والسرايا، وكان يحبه ويقربه، ويقول عنه: (عمرو بن العاص من صالحي قريش، نعم أهل البيت أبو عبد الله، وأم عبد الله، وعبد الله) وقال ابنا العاص مؤمنان، عمرو وهشام... وفي عهد الفاروق عمر -رضي الله عنه- تولى عمرو بن العاص إمارة فلسطين، وكان عمر يحبه ويعرف له قدره وذكاءه، فكان يقول عنه: ما ينبغي لأبي عبد الله أن يمشي على الأرض إلا أميرًا.[(٤)] كانت الثنائية الفكرية والعسكرية بين خالد وعمرو لا تفارقهما حتى في الجاهلية عن خَارِجَةُ بْنُ الْحَارِثِ، عَنْ أَبِي عَتِيقٍ السَّلَمِيِّ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي أَحْرُسُ الْخَنْدَقَ، وَخَيْلُ الْمُشْرِكِينَ تُطِيفُ بِالْخَنْدَقِ وَتَطْلُبُ غُرَّةً وَمُضِيقًا مِنَ الْخَنْدَقِ فَتَقْتَحِمُ فِيهِ، وَكَانَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ هُمَا اللَّذَانِ يَفْعَلانِ ذَلِكَ يَطْلُبَانِ الْغَفْلَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. كان عمرو بن العاص جيد الفطنة كثير الدهاء سريع الجواب

(١) ينظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، (٤/ ٩٥).

(٢) القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري، (ت ٤٦٣هـ) ،

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، ط١، (بيروت، ١٤١٢)، (١/ ٣٦٧).

(٤) المبرد، محمد بن يزيد بن عبد الاكبر الثمالى الازدي، أبو العباس، (٢٨٦ه)، المبرد، ص ١٦؛ ينظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط١، (بيروت لبنان، ١٩٨٩)، (٧/ ١٤٤).

بليغ الكلام.: ومن مروياته كان عمرو بن العاص جالسا في ظل الكعبة فأقبل الحسين بن علي عليه السلام فقال عمرو: «هذا أحب أهل الأرض إلى أهل السماء »[1] ومن المواقف ما روى ابن سعد عن محمد بن عمرو الأسلمي: كان عمرو بن العاص عاملا لرسول الله ﷺ على عمان فجاءه يهودي فقال أرأيت إن سألتك عن شيء يخشى علي منك ؟ قال: لا، قال اليهودي: أنشدك بالله من أرسلك إلينا ؟ قال اللهم رسول الله ﷺ فقال اليهودي: الله إنك لتعلم أنه رسول الله ﷺ قال له عمرو: اللهم نعم، قال اليهودي: إن كان ما تقول حقا لقد مات اليوم، ثم بلغ عمرو وفاة رسول الله ﷺ. وروى ابن سعد وأبو نعيم عن الحارث بن عبد الله الجهني قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن ولو أظن أنه يموت لم أفارقه فأتاني الحبر فقال إن محمدا قد مات قلت له: متى؟ قال: اليوم فلو أن عندي سلاحا لقتلته، فلم أمكث إلا يسيرا حتى أتى كتاب من أبي بكر بذلك فدعوت الحبر فقلت: من أين تعلم ذلك ؟ فقال: إنه نبي نجده في الكتاب أنه يموت يوم كذا وكذا، قلت: وكيف، يكون بعده ؟ قال: تستدير رحاكم إلى خمس وثلاثين سنة ما زاد يوما عن عوانة بن الحكم قال: كان عمرو بن العاص يقول: عجبا لمن نزل به الموت و عقله معه كيف لا يصفه فلما نزل به الموت قال له ابنه عبد الله: فصف لنا الموت و عقلك معك فقال: يا بني الموت أجل من أن يوصف و لكني سأصف لك منه شيئا أجدني كأن على عنقي جبال رضوى و أجدني كأن في جوفي شوك السلاح و أجدني كأن نفسي تخرج من ثقب إبرة[2]. ومن صفاته أن عمرو بن العاص قصيرا دحداحا. وأخباره كثيرة، كان عمر بن الخطاب إذا رأى الرجل يتلجلج في كلامه قال: خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد! وبقي بعد النبي فسار إلى الشام مع الجيوش التي سيرها أبو بكر الصديق [3] وفي قَوْله تَعَالَى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ ثَبَتَ عَنْ { ابْنِ شِمَاسَةَ الْمَهْرِيِّ قَالَ: حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ، وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ

(١) الدرامي، عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام التميمي الدارمي السمرقندي، أبو محمد، (ت٢٥٥ه)، سنن الدارمي (١/ ٤٩١) ؛

(٢) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للرامهرمزي (١/ ٢٩٥،

(٣) الزركلي، الأعلام، (١٠/ ٢٨٥)؛ ينظر د. علي محمد الصَّلاَّبي، أبوبكر الصديق (رضي الله عنه) شخصيته وعصره عصر الخلفاء الراشدين، ط١، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، ص٣٤٤؛ ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق لابن عساكر، (٤٦/ ١١٠).

الْمَوْتِ، فَبَكَى طَوِيلًا، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْجِدَارِ، فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ: مَا يُبْكِيكَ يَا أَبَتَاهُ ؟ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَذَا أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ بِكَذَا ؟ قَالَ: فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ مَا بَعْدَ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ أَنِّي كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقِ ثَلَاثٍ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدُّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللَّهِ مِنِّي، وَلَا أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ يَكُونَ قَدْ اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ فَقَتَلْتُهُ، فَلَوْ مِتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ [1]. لقد نال عمرو بن العاص منزلة التوبة، وفيه دليل على أن التوبة أعظم منزلة في الإسلام، ولن يصل إليها أحد بسهولة، فهي أعظم المنازل، لذلك يقول الله تعالى في آخر العهد: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾[التوبة:١١٧] كيف يتوب عليهم؟ لما كانت غزوة تبوك من آخر الغزوات تاب الله عليهم، فهي آخر المنازل وأرقاها، إذاً: أكبر منزلة لك هي منزلة التوبة، لذلك الرسول ﷺ ربما قام في مجلسه لاستقبال الناس أحياناً، يقول عمرو بن العاص: لما أسلمت، قدمت إلى رسول الله ﷺ مع عثمان بن شيبة بن طلحة الداري –من بني عبد الدار أهل مفاتيح الكعبة– و خالد بن الوليد وأناس، فقلت لأصحابي هؤلاء: إما تأخرتم عني أو تقدمت؛ لأن لي ذنوباً أريد أن أخبر النبي ﷺ بها –قدم مشركاً ولكن يريد الإسلام– قال: فلما رآني ﷺ، هش في وجهي وبش وقام وعانقني. لماذا؟ لأن عمرو بن العاص ليس كغيره، أرطبون العرب، يقول عمر بن الخطاب: رمينا أرطبون الغرب وعمرو أرطبون العرب، داهية الإسلام، ومعناه: مكسب للدعوة، ولو أن الرسول ﷺ جلس في مجلسه، مع أن هذا جاء بنعرة الجاهلية، ومروءة الجاهلية وشهامتها، قال: فعانقه وهش في وجهه وبش. لأنه مكسب للإسلام، وأما وفاته عن عمرو بن شعيب قال: توفي عمرو بن العاص يوم الفطر بمصر سنة اثنتين وأربعين وهو وال عليها. قال محمد بن سعد: وسمعت بعض أهل العلم يقول توفي عمرو بن العاص سنة إحدى وخمسين. قال: أخبرنا الفضل بن دكين قال: حدثنا زهير عن ليث عن مجاهد قال: أعتق عمرو بن العاص كل مملوك له. [2] قَال عمرو بن العاص رضي الله عنه: «عقلت عن رسول الله ﷺ ألف مثل». قَال ابن كثير – رحمه الله –: «وهذه منقبة عظيمة لعمرو بن العاص رضي

(١) أبو الربيع، سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، تحقيق: د . محمد كمال الدين عز الدين علي، عالم الكتب، ط١، (بيروت – ١٤١٧هـ)، (٤/ ٥٢) .

(٢) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري، (ت٢٣٠ه)، الطبقات الكبرى، (٤/ ٢٦١)، ينظر: الزركلي، الاعلام، (٦/ ١٣٦) .

الله عنه حيث يقول الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضربهَا للنَّاس وَمَا يَعقِلهَا إِلا العَالمونَ﴾.

المطلب الثاني: خالد بن الوليد: حياته وآثاره

خالد بن الوليد (٢١ ٠٠٠ هـ= ٠٠٠ - ٦٤٢ م) هو بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن كعب القرشي المخزومي أبوه الوليد بن المغيرة سيد بني مخزوم، وأمه لبابة بنت الحارث الهلالية أخت ميمونة أم المؤمنين، فهو شرف بني المغيرة وسيد بني مخزوم. مولده: ولد خالد بن الوليد في مكة المكرمة، هو سيف الله أبو سليمان وأمه أخت لبابة الكبرى زوج العباس بن عبد المطلب وهما أختا ميمونة بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه و سلم كان أحد أشراف قريش في الجاهلية وكان إليه أعنة الخيل في الجاهلية وشهد مع كفار قريش الحروب إلى عمرة الحديبية كما ثبت في الصحيح أنه كان على خيل قريش طليعة ثم أسلم في سنة سبع بعد خيبر وقيل قبلها ووهم من زعم أنه أسلم سنة خمس [1]. ولقد عرف النبي ﷺ له حسن تدبيره ورجاحة عقله ونقيت قلبه فلقبه بـ «سيف الله المسلول» إن المقومات والإشارات الفكرية والشخصية تكشف عن العلاقة الثنائية بين عمرو وخالد، ولخالد بن الوليد مكانته التي جعلته في مقدمة القوم. عندما انتخب أبو عبيدة ثلاثة آلاف فارس وأردفهم بألفين آخرين. سار خالد بالجيش لمعونة ميسرة، ورفع خالد يديه إلى السماء ودعا قائلاً: »اللهم اجعل لنا إليهم سبيلا واطو لنا البعيد ويسر لنا كل صعب شديد[2]. وسار نحو الدروب حتى التقى بميسرة، وفرح المسلمون بذلك وناجزوا الروم وانتصروا عليهم وفي نشأته العسكرية: لم يعرف التاريخ الإسلامي قائداً حربياً فذاً ذا عبقرية نادرة، وحُنْكة بالغة، وجرأة وشجاعة فائقة مثل خالد بن الوليد (، فلم ينهزم في أي معركة خاضها مدى حياته، ومعاركُه زهاء المئة، لتميزه بعقلية نيّرة، وخبرة ميدانية حربية واسعة، يضع الخطة الحربية المحكمة، ويلحظ كل مقومات الاستراتيجية المطلوبة، ويقدر موقفه وقدراته القتالية، ويحسن موازنة قوى خصومه، ويستطلع أجواء المعركة وأسلوب المباغتة، والكر والفرّ، والرجعة والإفلات، وتوجيه الضربات

(١) العسقلاني، الحافظ أحمد بن علي بن حجر، (ت ٨٥٢ه) ،.

(٢) الاصابة في تميز الصحابة، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، جامعة الازهر، دار الكتب العلمية، (بيروت لبنان)

الشديدة القاتلة لقلب جيش العدو، فينشر الرعب، ويحدث الهزة العنيفة، ويفتّت القوى المواجهة، ويتابع تنفيذ خطته بمهارة فائقة، ويتحكم في إدارة المعركة وتوجيهها لصالحه في ساعات قليلة حتى يندحر وتتبدد قواه في أقرب فرصة. وأسباب ذلك كثيرة أولها: نشأته العربية المتينة من أبوين شهيرين قويين، فأبوه الوليد بن المغيرة المخزومي الذي كان يحلم بتقدير العرب أن يكون نبي الأمة فهو أحد عملاقين زعيمين قديرين في الوسط العربي، فقال كفارهم: ﴿وَقَالُوا لَوْلاَ نُزِّلَ هذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ أي أحد سيدين عظيمين من سادات العرب: الوليد بن المغيرة من مكة، أو عروة بن مسعود الثقفي من الطائف. أسلم خالد بن الوليد وكان يفزع في منامه فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال له النبي ﷺ إذا اضطجعت فقل باسم الله أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين أن يحضرون فقالها فذهب ذلك عنه، ومن شذرات مناقب سيدنا خالد رضي الله عنه أن الرسول ﷺ يعلمه دعاء التعوذ من كيد الجن[1]. وخالد سيف الله الفاتح الكبير، الصحابي المعروف من أشراف قريش في الجاهلية، يلي أعنة الخيل، وشهد مع مشركيهم حروب الإسلام إلى عمرة الحديبية، وأسلم قبل فتح مكة هو وعمرو بن العاص سنة ٧ ه، فسر بهما رسول الله ﷺ وولاهم الإمارة و الخيل قال أبو بكر: عجزت النساء أن يلدن مثل خالد روى له المحدثون ١٨ حديثا. وأخباره كثيرة وكتب في سيرته طه الهاشمي، وقد استعرض حياته العسكرية، ومحمد سعيد العرفي، ذهب فيه إلى القول ببقاء ذرية خالد. [2] وفي وإحدى المعارك قال يزيد أمدد عمرا ومره بمواقعة القوم وأقم أنت بمكانك فقال أبو عبيدة ماذا ترى أنت يا خالد قال أرى أن تنظر ما يصنع هذا الجيش الذي ببعلبك فإن هم ساروا منها إلى إخوانهم سرت إلى إخوانك فلقيتهم بجماعة المسلمين وإن هم أقاموا أمددت عمرا وبعثت إلى هؤلاء من يقاتلهم وأقمت أنت بمكانك فقال له نعم ما رأيت فسير أبو عبيدة شرحبيل ابن حسنة إلى عمرو وقال له لا تخالفه فخرج شرحبيل في ألفين وثمانمائة فقدم على عمرو وعمرو في ألفين وخمسمائة وانتهت بنصر المسلمين بفضل مشورة خالد، الذي تخلق بالصبر وهو ملاك فضائل الأخلاق كلها فإن الارتياض بالأخلاق

(١) خالد بن الوليد لابن تيمية (ص: ٢٥)

(٢) السيوطي، عبد الرحمن ابن أبي بكر أبو الفضل، إسعاف المبطأ برجال الموطأ، المكتبة التجارية الكبرى، (مصر، ١٣٨٩ - ١٩٦٩).

الحميدة لا يخلو من حمل المرء نفسه على مخالفة شهوات كثيرة، ففي مخالفتها تعب يقتضي الصبرَ عليه حتى تصير مكارم الأخلاق ملكه لمن راض نفسه عليها، كما قال عمرو بن العاص [١]

إذا المرءُ لم يَترُكْ طعاماً يُحبُّه ولم يَنْهَ قلباً غاوياً حيثُ يمَّما

فيوشِك أن تُلفَى له الدَّهرَ سُبّةٌ إذا ذُكِرَتْ أمثالُها تَمْلأ الفَما[٢]

وكذلك الأعمال الصالحة كلها لا تخلو من إكراه النفس على ترك ما تميل إليه . وفي الحديث: (حُفَّت الجنة بالمكارِه وحُفّت النار بالشهوات). وعن علي بن أبي طالب: (الصبر مطية لا تكبو والقناعة سيف لا ينبو)[٣] ومن المناقب لخالد اسْتَعْمَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ عَلَى الشَّامِ، وَعَزَلَ خَالِدَ، فَقَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ: بُعِثَ عَلَيْكُمْ أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: ((أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ أبو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ)). قَالَ أبو عُبَيْدَةَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، يَقُولُ: ((خَالِدٌ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ وَنِعْمَ فَتَى الْعَشِيرَةِ)). هو سَيْف الله، رضي الله تعالى عنه، ورفع ذكره بكل راية رفعها للإسلام، ومن بركة إسلامه أرسله رسول الله سنة عشر إلى بني الحارث بن كعب بن مذحج فقدم معه رجال منهم فأسلموا ورجعوا إلى قومهم، وشهد معارك عندما أمره أبو بكر الصديق رضي الله عنه على قتال مسيلمة الكذاب والمرتدين باليمامة وكان له في قتالهم الأثر العظيم، وله الآثار المشهورة في قتال الروم بالشام والفرس بالعراق وهو أول من أخذ الجزية من الفرس في صلح الحيرة وافتتح دمشق وكان في قلنسوته شعر من شعر رسول الله يستنصر به ويتبرك فلا يزال منصورا [٤]، ولما حضرت خالد الوفاة قال: الواقدي لما حضرت خالداً الوفاةُ بكى ثم قال: لقد حضرتُ كذا وكذا زحفاً، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة سيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير؛ فلا نامت أعين الجبناء، و في البداية قريب

(١) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، (ت ٦٣٠ه)، أسد الغابة، تحقيق:عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي، ط١، (بيروت – لبنان، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م)،

(٢) الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ،التحرير والتنوير، الطبعة التونسية، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧ م، مكتبة صيد الفوائد .

(٣) محاضرات الأدباء للأصفهاني (٢/ ٥٣)

(٤) القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (ص: ١٢٧) .

من هذه العبارة قال ابن كثير، ولما حضرت خالد بن الوليد الوفاة قال: لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية ثم هأنذا أموت على فراشي كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء وما لي من عملي أرجا من لا إله إلا الله وأنا متترس بها. [1] كان يشبه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلقه وصفته وتوفي في خلافة عمر بن الخطاب سنة ٢١هـ (٦٤١ - ٦٤٢ م) وعمره بضع وأربعون سنة وكانت وفاته بحمص وقبره مشهور يزار إلى الآن في ضمن مسجد واقع خارج السور إلى الجهة الشمالية من حمص وقد اتصل به العمران وصار حوله لهذا العهد حي يسمى (حي سيدي خالد) كما يسمى المسجد أيضا مسجد سيدي خالد.. قال رفيق بك العظم في كتابه (أشهر مشاهير الإسلام) وقد زرته مرة فوجدت عليه من المهابة والوقار ما يأخذ بمجامع القلوب التي يعرف أصحابها أقدار الرجال ويتأثرون بذكرى عصر أولئك الأبطال وقد كان لخالد أولاد كثيرون انقرضوا جميعا في الطاعون فلم يبق منهم أحد وورث أيوب بن سلمة دورهم بالمدينة وكان عمر يقول لما مات خالد: قد ثلم في الإسلام ثلمة لا ترتق ولقد ندمت على ما كان مني إليه ولخالد كرامات منها أنه ابتلع السم فلم يؤثر فيه، ومنها ما رواه ابن أبي الدنيا بإسناد صحيح عن خيثمة قال أتى خالد بن الوليد رجل معه زق خمر . فقال: اللهم اجعله عسلا فصار عسلا . رحمه الله رحمة واسعة فحياته المملوءة عبرا وشهامة وبلاء حسنا في سبيل الله، و كان مظفرا خطيبا فصيحا. ومن الوصايا النابعة من قلب مؤمن يرضى بقدر ربه، ما ذُكر أنّ عمر بن الخطّاب كان يقول: لو شئت كنت أطيبكم طعاماً وألينكم لباساً، ولكنّي أستبقي طيباتي . وذكر أنّه لما قدم الشام صُنع له طعام لم ير قبله مثله . قال: هذا لنا فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير ؟ قال خالد ابن الوليد: لهم الجنّة . فاغرورقت عينا عمر، وقال: لئن كان حظّنا في الحطام وذهبوا فيما أرى أنا بالجنّة لقد باينونا بوناً بعيداً . ويستدل خالد بموقف أنّ النبي ﷺ دخل على أهل الصفة «(٢)»، مكاناً يجتمع فيه فقراء المسلمين وهم يرقعون ثيابهم بالأدم ما يجدون لها

(١) النووي، أبى زكريا محيي الدين بن شرف النووي، (ت ٦٧٦ ه)، تهذيب الأسماء واللغات للنووي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (١/ ٢٣٤) .

(٢) النيسابوري، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، الكشف والبيان، دار إحياء التراث العربي (بيروت - لبنان، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢م)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي المصدر:

رقاعاً «(١)». قال خالد إن نبينا {ﷺ} قال لنا إن حسب المرء دينه ومن لم يكن له دين فلا حسب له وقال لنا إن أفضل الشجاعة وخيرها في العاجلة والعاقبة ما كان منها في طاعة الله وأما ما ذكرت أني أوتيت عقلا ووفاء فإن أكن أوتيت ذلك فلله المن والفضل علينا وهو المحمود عندنا وقد قال لنا نبينا {ﷺ} إن الله لما خلق العقل وفرغ من خلقه قال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال له وعزتي ما خلقت من خلقي شيئا هو أحب إلي منك بك أحمد وبك أعبد وبك أعرف وبك تنال طاعتي وبك تدخل جنتي ثم قال خالد والوفاء لا يكون إلا من العقل فمن لم يكن له عقل فلا وفاء له ومن لا وفاء له لا عقل له فقال له باهان أنت أعقل أهل الأرض ما يتكلم بكلامك ولا يبصره ولا يفطن له إلا الفائق من الرجال ثم قال لخالد أخبرني عنك وأنت هكذا تحتاج إلى وقوله: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ أي: أنتم صائرون إلى الموت لا محالة، ولا ينجو منه أحد منكم، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ والإكْرَام](٢) وقال تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾(٣) وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤] والمقصود: أن كل أحد صائر إلى الموت لا محالة، ولا ينجيه من ذلك شيء، وسواء عليه جاهد أو لم يجاهد، فإن له أجلا محتوما، وأمدا مقسوما، كما قال خالد بن الوليد حين جاء الموت على فراشه: لقد شهدت كذا وكذا موقفا، وما من عضو من أعضائي إلا وفيه جرح من طعنة أو رمية، وها أنا أموت على فراشي، فلا نامت أعين الجبناء رجل فيه من الخصال ما تفرقت في أقرانه من شجاعة وكرم وحكمة .

(١) الدمشقي: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ت ٧٠٠ -٧٧٤ هـ، تفسير القرآن العظيم - تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م .

(٢) سورة الرحمن: آية ٢٦-٢٧

(٣) [آل عمران: ١٨٥]

المبحث الثاني:
ثنائية إسلام عمرو بن العاص
وخالد بن الوليد رضي اللّه عنهما

في بيان إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد أكثر من رواية في كتب السيرة والمغازي[1] وعَنْ حَبِيبِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ مِنْ فِيهِ قَالَ لَمَّا انْصَرَفْنَا مِنَ الأَحْزَابِ، عَنِ الْخَنْدَقِ جَمَعْتُ رِجَالاً مِنْ قُرَيْشٍ كَانُوا يَرَوْنَ رَأْيِي وَيَسْمَعُونَ مِنِّي فَقُلْتُ لَهُمْ وَاللَّهِ إِنِّي لأَرَى أَمْرَ مُحَمَّدٍ يَعْلُو الأُمُورَ عُلُوًّا مُنْكَرًا وَإِنِّي رَأَيْتُ رَأْيًا فَمَا تَرَوْنَ فِيهِ قَالُوا وَمَا الَّذِي رَأَيْتَ قُلْتُ رَأَيْتُ أَنْ نَلْحَقَ بِالنَّجَاشِيِّ فَنَكُونَ مَعَهُ فَإِنْ ظَهَرَ مُحَمَّدٌ عَلَى قَوْمِنَا كُنَّا عِنْدَ النَّجَاشِيِّ فَإِنَّا أَنْ نَكُونَ تَحْتَ يَدَيْهِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَنْ نَكُونَ تَحْتَ يَدَيْ مُحَمَّدٍ وَإِنْ ظَهَرَ قَوْمُنَا فَنَحْنُ مَنْ قَدْ عُرِفُوا فَلَمْ يَأْتِنَا مِنْهُمْ إِلاَّ خَيْرٌ[2]، وقيل: إن عمرو بن العاص أسلم سنة ثمان قبل الفتح[3] وقيل: بل أسلم بين الحديبية وخيبر، ولا يصح، والصحيح ما ذكره الواقدي وغيره أن إسلامه كان سنة ثمان، وقدم هو وخالد بن الوليد، وعثمان بن طلحة لمدينة مسلمين، فلما دخلوا على رسول الله ﷺ ونظر إليهم قال: « قد رمتكم مكة بأفلاذ كبدها « . وكان قدومهم على رسول الله ﷺ مهاجرين بين الحديبية وخيبر. وذكر الواقدي قال: وفي سنة ثمان قدم عمرو بن العاص مسلماً على رسول الله ﷺ، قد أسلم عند النجاشي، وقدم معه عثمان بن طلحة وخالد بن الوليد، قدموا المدينة في صفر سنة ثمانٍ من الهجرة. وقيل: إنه لم يأت من أرض الحبشة إلا معتقداً للإسلام، وذلك أن النجاشي كان قال: يا عمرو، كيف يعزب عنك أمر ابن عمك فو الله إنه لرسول الله حقاً. قال: أنت تقول ذلك؟ قال: إي والله فأطعني. فخرج من عنده مهاجراً إلى النبي ﷺ، فأسلم قبل عام خيبر. والصحيح أنه قدم على رسول الله ﷺ في سنة ثمانٍ، قبل الفتح بستة أشهر هو وخالد بن الوليد، وعثمان بن طلحة، وكان هم بالإقبال إلى رسول الله ﷺ في حين انصرافه من الحبشة، ثم لم يعزم له إلى الوقت الذي ذكرنا. والله اعلم

---

(١) ينظر:الخصائص الكبرى ـ جلال الدين عبدالحمن السيوطي (٢/ ٥٣)

(٢) الهيثمي:، نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر، (بيروت – ١٤١٢هـ)، ٩/ ٥٨٦ .

(٣) مكة والمدينة في الجاهلية وعهد للرسول – (ص: ٣٧٥)

كان اجتماع عمرو مع خالد على الإسلام: [1] وكما أسلم خالد أسلم رجلان آخران لهما أهمية ولهما خطورة وهما: عمرو بن العاص داهية قريش الذي لا يقل بصرًا بالأمور عن خالد، وعثمان بن طلحة حارس الكعبة١، وبإسلام هؤلاء الثلاثة أسلم عدد كبير من أهل مكة وأصبحت مكة في حكم البلد الذي فتح أبوابه للدعوة الإسلامية، ولم يبق إلا أن تفتح أبوابها وتسلم القيادة للمسلمين..

إخلاص عمرو بن العاص – رضي الله عنه –:قال عمرو بن العاص: بعث إليَّ رسول الله ﷺ فقال: خذ عليك ثيابك، وسلاحك ثم ائتني فأتيته، وهو يتوضأ، فصعد في النظر، ثم طأطأ، فقال: إني أريد أن أبعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك، وأرغب لك في المال رغبة صالحة، قال: قلت: يا رسول الله ما أسلمت من أجل المال، ولكني أسلمت رغبة في الإسلام، وأن أكون مع رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «يا عمرو نعم المال الصالح للمرء الصالح»[2]. فهذا الموقف يدل على قوة إيمان وصدق وإخلاص عمرو بن العاص للإسلام وحرصه على ملازمة رسول الله ﷺ، وقد بين له رسول الله ﷺ أن المال الحلال نعمة إذا وقع بيد الرجل الصالح؛ لأنه يبتغي به وجه الله ويصرفه في وجوه الخير ويعف به نفسه وأسرته(. وأمره رسول الله ﷺ على سريةٍ نحو الشام، وقال له: يا عمرو، إني أريد أن أبعثك في جيشٍ يسلمك الله ويغنمك، وأرغب لك من المال رغبة صالحة. فبعثه إلى أخوال أبيه العاص بن وائل من بلي يدعوهم إلى الإسلام ويستنفرهم إلى الجهاد، فشخص عمرو إلى ذلك الوجه، فكان قدومه إلى المدينة في صفر سنة ثمانٍ، ووجهه رسول الله ﷺ في جمادى الآخرة سنة ثمانٍ فيما ذكره الواقدي وغيره، [3] وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: إِنَّكُمْ عَلَى كَمَالِ عُقُولِكُمْ وَوُفُورِ أَحْلَامِكُمْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ الْحَجَرَ . فَقَالَ عَمْرٌو: تِلْكَ عُقُولٌ كَادَهَا بَارِيهَا وفي هَذَا الَّذِي أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ مِنْ سَخَافَةِ الْعَرَبِ وَجَهْلِهَا أَمْرٌ أَذْهَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِسْلَامِ، وَأَبْطَلَهُ بِبَعْثَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ مِنْ الظَّاهِرِ لَنَا أَنْ نُمِيتَهُ حَتَّى لَا يَظْهَرَ، كما في قوله تعالى: {أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُمْ} أي عقولهم {بِهَذَا} أي بالكذب عليك . {أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ} أي أم طغوا بغير عقول. وقول عمرو بن العاص: ما بال قومك لم يؤمنوا وقد وصفهم الله بالعقل ؟ فقال: تلك عقول كادها

(١) الروض الآنف للسهيلي (٦/ ٢٨٦)

(٢) السيرة النبوية ـ شمس الدين بن عثمان الذهبي (٣/ ٤٠)

(٣) القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (ص ١٩٧) .

الله؛ أي لم يصحبها بالتوفيق. وقيل: {أَحْلامُهُمْ} أي أذهانهم؛ لأن العقل لا يعطى للكافر ولو كان له عقل لآمن. وإنما يعطى الكافر الذهن فصار عليه حجة. والذهن يقبل العلم جملة، والعقل يميز العلم ويقدر المقادير لحدود الأمر والنهي. وروي عن النبي ﷺ أن رجلا قال: يا رسول الله، ما أعقل فلانا النصراني! فقال: «مه إن الكافر لا عقل له أما سمعت قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[1].

وفي رواية لم يطلع الفجر حتى التقينا فغدونا حتى انتهينا إلى الهدة: اسم محل، فنجد عمرو بن العاص بها، فقال: مرحباً بالقوم، فقلنا وبك، أين مسيركم؟ قلنا: الدخول في الإسلام، قال: وذلك الذي أقدمني. وفي لفظ قال عمرو لخالد: يا أبا سليمان أين تريد؟ قال: والله لقد استقام الميسم: أي تبين الطريق وظهر الأمر، وإن هذا الرجل لنبي فأذهب فأسلم، فحتى متى؟ قال عمرو: وأنا ما جئت إلا لأسلم، فاصطحبنا جميعاً حتى دخلنا المدينة الشريفة،هذه هداية التوفيق لهما فقال خالد فأنخنا بظهر الحرة ركابنا فأخبر بنا رسول الله ﷺ فسرّ بنا، أي وقال رمتكم مكة بأفلاذ كبدها، فلبست من صالح ثيابي، ثم عمدت إلى رسول الله فلقيني أخي، فقال: أسرع فإن رسول الله ﷺ قد سرّ بقدومكم وهو ينتظركم فأسرعنا المشي، فاطلعت عليه فما زال يتبسم إليّ حتى وقفت عليه، فسلمت عليه بالنبوة فرد على السلام بوجه طلق، فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، قال: الحمد لله الذي هداك، قد كنت أرى لك عقلاً رجوت أن لا يسلمك إلا إلى خير. قلت: يا رسول الله ادع الله لي أن يغفر لي تلك المواطن التي كنت أشهدها عليك، فقال: «الإسلام يجب ما كان قبله »[2] أي وتقدم عثمان وعمرو فأسلما. وفي إسلام خالد ورفيقيه فتح مبين للمسلمين، إن إسلام ثلاثة طالما كانت لهم اليد الطولى في قيادة الجيوش لحرب المسلمين وهم: خالد بن الوليد المخزومي، وعمرو بن العاص السهمي، وعثمان بن طلحة، فسُرّ بهم عليه الصلاة والسلام سروراً عظيماً، وقال لخالد: «الحمد لله الذي هداك، قد كنتُ أرى لك عقلاً رجوت ألاّ يسلمك إلا إلى خير» فقال: يا رسول الله ادعُ الله لي أن يغفر تلك المواطن التي كنت أشهدها عليك، فقال فقال رسول الله صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم: يا عَمْرو بايع فإن الإسلام يجب ما كان قبله وإن الهجرة تجب ما كان قبلها. قال:

(١) [الملك: ١٠].

(٢) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (٤/ ٢٩)

فبايعته ثم انصرفت. وفي رواية «الإسلام يقطع ما قبله»[1]. ولقد اتفقت وتقاربت أكثر الروايات على إسلامهم، وفي رواية أخرى من الثنائية المباركة اجْتِمَاعُ عَمْرِو وَخَالِدٍ عَلَى الْإِسْلَام {ثُمَّ خَرَجْتُ عَامِدًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِأُسْلِمَ، فَلَقِيتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَذَلِكَ قُبَيْلَ الْفَتْحِ، وَهُوَ مُقْبِلٌ مِنْ مَكَّةَ، فَقُلْتُ: أَيْنَ يَا أَبَا سُلَيْمَانَ ؟ قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ اسْتَقَامَ الْمَنْسِمُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَنَبِيٌّ، أَذْهَبُ وَاللَّهِ فَأُسْلِمَ، فَحَتَّى مَتَى؛ قَالَ: قُلْتُ: وَاللَّهِ مَا جِئْتُ إِلَّا لِأُسْلِمَ. قَالَ: فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَقَدَّمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَأَسْلَمَ وَبَايَعَ، ثُمَّ دَنَوْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ يُغْفَرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي، وَلَا أَذْكُرُ مَا تَأَخَّرَ؛ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَا عَمْرُو، بَايِعْ، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَإِنَّ الْهِجْرَةَ تَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهَا قَالَ: فَبَايَعْتُهُ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ. }قَالَ ابْنُ هِشَام: وَيُقَالُ: فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَحُتُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَإِنَّ الْهِجْرَةَ تَحُتُّ مَا كَانَ قَبْلَهَا. وفي إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد رضي الله عنهما دروس ولطائف وعبر منها:

أ- غضبة النجاشي تدل على صدق إيمانه وحبه لرسول الله ﷺ، وحبه للمسلمين، وصدق النجاشي كان له أثر في إيمان عمرو بن العاص، ودخوله في الإسلام، وبذلك نال النجاشي أجرًا عظيمًا حيث جذب إلى الإسلام رجلاً من عظماء قريش . ب كان إسلام عمرو بن العاص نصرًا كبيرًا للإسلام، والمسلمين فلقد سخر عقله الكبير ودهاءه العظيم لصالح دعوة الإسلام، وخسر الكفار بإسلامه خسارة كبيرة؛ لأنهم كانوا يعدونه لعظائم الأمور التي تحتاج إلى دهاء ومقدرة على التأثير وخاصة فيما يتعلق بعدائهم مع المسلمين، ج- أدرك خالد بن الوليد أن العاقبة لرسول الله ﷺ وتأمل قوله: لقد شهدت هذه المواطن كلها على محمد فليس موطن أشهده إلا أنصرف وأنا أرى في نفسي أني موضع في غير شيء، وأن محمدًا سيظهر، وفي هذا عبرة لكل الذين يحاربون الإسلام، د- الاهتمام بالبشر طريق من طرق التأثير عليهم، وكسبهم إلى الصف المؤمن ولذلك قال رسول الله للوليد بن الوليد: ما مثل خالد يجهل الإسلام، ولو كان جعل نكايته وجده مع المسلمين على المشركين لكان خيرًا له ولقدمناه على غيره، فكانت لهذه الكلمات البليغة أعظم الأثر في تحول قلب خالد وتوجهه نحو الإسلام، وقد كان رسول الله ﷺ عليمًا في مخاطبة النفوس والتأثير عليها، فلقد أدرك مواهب

(١) إتحاف الخيرة المهرة، (٧/ ٣٠٠) .

خالد في القيادة والزعامة فوعد بتمكينه من ذلك وتقديمه على غيره في هذا المضمار، ومدح ﷺ سداد رأيه ورجاحة عقله، ونضج فكره، فانتزع ﷺ بهذه الكلمات كل الجوانب التي تجعل خالدًا يظل على الشرك الذي لم يكن مقتنعًا به إلا بمقدار ما حصل له فيه من قيادة وتصدر، فلما كان ما هيأه له المشركون سيحصل له إذا دخل في الإسلام، واطمأن بأنه لو أسلم لن يكون في آخر القائمة، ولن يكون مهملا، شجعه ذلك على التغلب على وساوس إبليس، ورجح ما اطمأنت إليه نفسه من الميل إلى الإسلام فعزم على الدخول فيه. لقد كان إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد قوة للإسلام وضعفًا للشرك، وكتب الله على أيديهما صفحات مشرقة من تاريخ المسلمين الجهادي أصبحت باقية في ذاكرة الأمة وتاريخها المجيد على مر الدهور وكر العصور، توالي الأزمان ورسول الله ﷺ قال أمراء الاجناد عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وشرحبيل بن حسنة وسمعوه من رسول الله ﷺ. رواه الطبراني في الكبير وأبو يعلي وإسناده حسن .

وعن خالد وعمرو، فإنهما أسلما سابقين بدعائه عليه السلام[1]. إسلام أبطال من قريش نعرف من دروس التاريخ أن قوة الإسلام كانت دائمًا في دعوته، صحيح أن الإسلام لم يتمكن في بدايته من التأثير في عوام الناس بمكة إلا أن كل الأفراد ذوي القيمة، الذين أصبحوا فيما بعد أعمدة التاريخ الإسلامي هم أولئك الذين وجدهم الإسلام في بداية العصر المكي، وهذا يعود إلى الدعوة الإسلامية وحدها؛ لأن الإسلام لم يكن يمتلك قوة ما غيرها حينذاك، ورجال مكة الذين أسلموا فيما بعد هم أيضًا تأثروا بأحقية الإسلام الفكرية مثل: عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وغيرهما. حتى سألت قريش من النبي ﷺ أن يضمهم إليه ومن جاءه فهو آمن فضمهم إليه وفيها – أي السنة السابعة – أسلم جماعة من رؤساء قريش منهم عمرو بن العاص وخالد بن الوليد رضي الله عنهما وهنالك رواية أن أسلم عمرو بالحبشة) على يد النجاشي وفيها – أي السنة السابعة – – أرسل النبي ﷺ رسله بكتبه إلى ملوك الأقاليم[2]. واستحكم أمر الإسلام في المرحلة الثانية، أي في العصر المدني

(١) المباركفوري، صفي الرحمن، الرحيق المختوم، لتقى اهل الحديث، ص٣١١ .

(٢) ابن عساكر، أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي، (ت٤٩٩هـ-٥٧١هـ)، تاريخ مدينة دمشق، دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م)، (ج١٣/ ص ٤٥٣) .

بواسطة الدعوة نفسها، فلم يغزها الرسول ولم يفتحها عسكريًّا، بل آمن البعض من أهل المدينة بالإسلام ورجعوا دعاة إلى الإسلام؛ فبدءوا يدعون الناس بأسلوب بسيط، بالإضافة إلى جهود الداعية مصعب بن عمير، ونتج عن هذا دخول الناس أفواجًا إلى الإسلام إلى أن أصبحت المدينة المركز الفكري والعملي للإسلام.

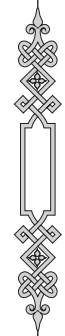

❊ ❊ ❊

المبحث الثالث:
ثنائية المواقف الفكرية والعسكرية

أكد الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، للصحابة وأمراء الجيش أن يتبعوا أروع القيم الحضارية في جميع المعارك والغزوات، فلا يستخدم في الجهاد في سبيل الله إلا الوسائل المشروعة والأساليب النزيهة، فعن صفوان بن عسال رضي الله عنه قال: (بعثني رسول الله ﷺ في سرية فقال: (اغزوا باسم الله في سبيل الله لا تغلوا ولا تغدروا . .) وعن يحيى بن سعيد قال: حدثت أن أبا بكر – رضي الله عنه – بعث جيوشا إلى الشام فخرج يتبع يزيد بن أبي سفيان فقال: (إني أوصيكم بعشر: لا تخربن عامرا، ولا تعقرن شاة ولا بعيرا إلا لمأكلة، ولا تغرقن نخلا، ولا تحرقنه، ولا تغلل، و لا تجبن، ولا تقتلن صبيا، ولا امرأة، ولا كبيرا هرما، ولا تقطعن شجرا مثمرا)[1]

وفي رواية: (وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له). وهذه النصوص وغيرها من دستور العسكرية الإسلامية التي وضعها رسول الله ﷺ تشتمل على الأصول الأخلاقية للحرب، وهذه جملتها: الإخلاص والتجرد للأهداف الحقيقية للحرب وترك ما يخالف ذلك من غلول وغدر وثأر وانتقام، والمحافظة على البيئة واجتناب الفساد في الأرض بتحريق الأشجار وقتل الحيوانات لغير ضرورة، و عدم التعرض لغير المقاتلين من النساء والصبيان والشيوخ، و السماحة الدينية واحترام مقدسات الآخرين، بعدم قتل الرهبان والقسيسين ما لم يقاتلوا أو يعينوا على القتال، وعدم التعرض كذلك لبيعهم وكنائسهم بسوء. ولما اطمأن رسول الله ﷺ بعد الفتح بعث خالد بن الوليد إلى العزى لخمس ليال بقين من شهر رمضان ـ سنة ٨ هـ ـ ليهدمها وكانت بنخلة، وكانت لقريش وجميع بني كنانة وهي أعظم أصنامهم. يقول اللواء محمود شيت خطاب: (أثرت عمرة القضاء في هذه الفترة على معنويات قريش تأثيرًا كبيرًا، فقد وقف الكثير من قريش عند دار الندوة بمكة، كما عسكر آخرون فوق الهضاب المحيطة بها ليشهدوا دخول الرسول ﷺ وأصحابه، فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد اضطبع بردائه وأخرج عضده اليمنى ثم قال: «رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة»،[2] ثم استلم الركن وأخذ يهرول وأصحابه معه، فلم

(١) أروع القيم الحضارية في سيرة خير البري٢ (ص: ٣٠)

(٢) محمد مسعد ياقوت، نبي الرحمة، (ص: ٩٢).

يكد يترك الرسول ﷺ مكة، حتى وقف خالد ابن الوليد يقول في جمع من قريش: لقد استبان لكل ذي عقل أن محمدًا ليس بساحر ولا شاعر، وأن كلامه من كلام رب العالمين، فحق كل ذي لب أن يتبعه، وسمع أبو سفيان بما كان من قول خالد بن الوليد، فبعث في طلبه، وسأله عن صحة ما سمع، فأكد له خالد صحته، فاندفع أبو سفيان إلى خالد في غضبه، فحجز عنه عكرمة وكان حاضرًا، وقال: مهلاً يا أبا سفيان، فوالله خفت للذي خفت أن أقول مثل ما قال خالد وأكون على دينه، أنتم تقتلون خالدًا على رأي رآه، وهذه قريش كلها تبايعت عليه، والله لقد خفت ألا يحول الحول حتى يتبعه أهل مكة كلهم. وأسلم من بعد خالد بن الوليد عمرو بن العاص، وحارس الكعبة نفسها عثمان بن طلحة، بل وظهر الإسلام في كل بيت من قريش سرًّا وعلانية؛ وبهذه النتيجة الطيبة يمكننا القول بأن عمرة القضاء هذه قد فتحت أبواب قلوب أهل مكة قبل أن يفتح المسلمون أبواب مكة نفسها).

ويقول الأستاذ عباس العقاد: (. . . وحسبك أن عمرة القضاء هذه قد جمعت في آثارها من أسباب الإقناع بالدعوة المحمدية ما أقنع خالد بن الوليد وعمرو بن العاص، وهما في رجاحة العقل والخلق مثلان متكافئان يحتذى بهما) ولما ولي أبو بكر وجهه لقتال مسيلمة ومن ارتد من أعراب نجد. و اتجه خالد إلى العراق أوائل سنة (١٢هـ)[1]، وحقق انتصاراته على الفرس خلال سنة واحدة، لم يهزم في معركة واحدة، ولم يقع في خديعة أو قلة أهبة، وكان أبداً كما وصفه عمرو بن العاص «في أناة القطاة ووثبة الأسد» فلا يهمل الحيطة، ولا يعتمد على الشجاعة وحدها دون الحزم والحيلة، وكان يحارب بثمانية عشر ألفاً، وكأنه يحارب بخمسة أضعاف هؤلاء، وكانت تعبئة جيشه بحسب عرف أيامه وهي قسمة الجيش إلى ميمنة، وميسرة، وقلب، وطليعة سابقة، وردء لحماية المؤخرة، يقاتل مرة بالصفوف ومرة بالكراديس، ويواجه خصمه أو يدور عليه، ويتراجع أمامه أو يهاجمه، ويحصره أو يمكنه من الهرب حسب ظروف المعركة. حينما صارت القيادة لخالد على فتح بلاد فارس، أرسل جيشه على فرق ثلاث، قدم المثنى على رأس فرقه، ثم ألحق به عدي بن حاتم صاحبه في حرب بني أسد، ثم لحق بهم على رأس جيشه، وواعدهم موضعاً هو الجنوب الغربي من البصرة الآن. فلما فرغ خالد من بيعتهم أوثق عيينة بن حصن و قرة بن هبيرة بن سلمة و بعث بهما إلى أبي بكر، فلما قدما

(١) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، (٤/ ٢٧).

عليه قال قرة: يا خليفة رسول الله ! إني كنت مسلماً، و إن عند عمرو بن العاص من إسلامي شهادة، قد مر بي فأكرمته و قربته، و بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى ملكي عُمَان جيفر وعبد ابني الجلندي، وهما من الأزد، والملك جيفر، فأسلما وصدّقا، وخلَّيا بين عمرو وبين الصدقة والحكم فيما بينهم، فلم يزل عندهم حتى توفي رسول الله ﷺ. كان عمرو بن العاص هو الذي جاء بخبر الأعراب، و ذلك أن عمراً كان على عمان، فلما أقبل راجعاً إلى المدينة مر بهوازن .[1]

وقد انتقضوا و فيهم سيدهم قرة بن هبيرة، فنزل عليه عمرو بن العاص فنحر له و أقراه و أكرمه، فلما أراد عمرو الرحيل خلى به قرة بن هبيرة و قال: يا عمرو ! إنكم معشر قريش إن أنتم كففتم عن أموال الناس و تركتموها لهم ـ يريد الصدقات ـ فقمن أن يسمع لكم الناس و يطيعوا، فإن أنتم أبيتم إلا أخذ أموالهم فإني و الله ما أرى العرب مقرة بذلك لكم و لا صابرة عليه حتى تنازعكم أمركم و يطلبوا ما في أيديكم، فقال عمرو بن العاص: أبالعرب تخوفنا موعدك، أقسم بالله ! لأوطئنه عليك الخيل . ثم مضى عمرو حتى قدم المدينة على أبي بكر و أخبره الخبر قبل خروج خالد إليهم، فتجاوز أبو بكر عن قرة ابن هبيرة و عيينة بن حصن و حقن لهما دماءهما . قَال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا البَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾.

وأعظم أمثال القرآن أهمية، وأرفعها شأنا ومنزلة الأمثال الإيمانية، التي تبين أركان الإيمان، وتبين أسس الدين، وتعرف بالله رب العالمين، وبحقه على عباده، وغير ذلك من المطالب الإيمانية. إن أكثر أمثال القرآن مضروبة للقضايا الكبار، والمطالب العالية، والمسائل الجليلة المتعلقة بأصول الدين، لذلك اختص أهل العلم قَال تعالى: ﴿وَتِلْك الأمْثَال نَضْرِبُها للنَّاسِ وَما يَعقلهَا إلا العَالمونَ﴾وفي هذا توجيه لطلاب العلم إلى تفهم وتعقل الأمثال القرآنية، وتكليف لهم بشرحها وبيانها للناس. ففيه حث على تعلمها وتعليمها،[2] ولأجل ذلك كان النبي ﷺ يعلم أصحابه الأمثال. وكانت أم والد عمرو من بلي، فبعثه رسول الله ﷺ إلى أرض بلي وعذرة، يستألفهم بذلك، ويدعوهم إلى الإسلام، فسار حتى إذا كان على ماء بأرض جذام يقال له السلاسل وبذلك سميت تلك الغزوة ذات السلاسل، فخاف فكتب إلى رسول الله ﷺ من تلك الغزوة يستمده، فأمده بجيشٍ من مائتي

(١) الأيام النظرة والسيرة العطرة لرسولنا ﷺ (ص: ٦٨)

(٢) محمد مسعد ياقوت، نبي الرحمة، (ص: ٩٢) .

فارس من المهاجرين والأنصار أهل الشرف، فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وأمر عليهم أبا عبيدة، فلما قدموا على عمرو قال: أنا أميركم، وإنما أنتم مددي. وقال أبو عبيدة: بل أنت أمير من معك، وأنا أمير من معي فأبى عمرو، فقال له أبو عبيدة: يا عمرو، إن رسول الله ﷺ عهد إلي: « إذا قدمت على عمروٍ، فتطاوعا، ولا تختلفا، فإن خالفتني أطعتك». قال عمرو: فإني أخالفك، فسلم له أبو عبيدة، وصلى خلفه في الجيش كله، وكانوا خمسمائة. في مقدمة القوم. وانتخب أبو عبيدة منهم ثلاثة آلاف فارس وأردفهم بألفين آخرين. فسار خالد بالجيش لمعونة ميسرة، ورفع خالد يديه إلى السماء ودعا قائلاً: »اللهم اجعل لنا إليهم سبيلا واطو لنا البعيد ويسر لنا كل صعب شديد». وسار نحو الدروب حتى التقى بميسرة، وفرح المسلمون بذلك وناجزوا الروم وانتصروا عليهم... في الوقت الذي كان أبو عبيدة وخالد يحرزان النصر في شمال الشام، كان عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة يواجهان بدورهما قوات الروم التي اجتمعت في فلسطين. ولا شك في أن بيت المقدس هدف من أهداف فتح المسلمين للشام. وسبقت الإشارة إلى أن المسلمين تعقبوا القوات البيزنطية في اجنادين بقيادة أرطبون والتي اضطرت إلى أن تنسحب فارة إلى بيت المقدس وفي موقف من خلافة الصديق وكان يزيد أحد الأمراء الذين بعثهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه فى فتح الشام ووصاه بوصية معروفة و أبو بكر ماش و يزيد راكب فقال له يا خليفة رسول الله إما أن تركب و إما أن أنزل فقال لست براكب و لست بنازل إني احتسب خطاي في سبيل الله و كان عمرو بن العاص هو الأمير الأخير و الثالث شرحبيل بن حسنة و الرابع خالد بن الوليد و هو أميرهم المطلق ثم عزله عمر و ولى أبا عبيدة عامر بن الجراح الذي ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه و سلم شهد له أنه أمين هذه الأمة فكان فتح الشام على يد أبى عبيدة وجاء فى «فتوح الشام» للواقدى (١٣٠ – ٢٠٧ هـ):[1] «كان عمرو (بن العاص). . . يقول: لا والذي نجاني من القبط. قال: وعاد الرسول وأخبر الملك بما قاله عمرو، فعند ذلك قال: أريد أن أدبر حيلة أدهمهم بها، فقال الوزير: اعلم أيها الملك أن القوم متيقظون لأنفسهم لا يكاد أحد أن يصل إليهم بحيلة، ولكن بلغني أن القوم لهم يوم في الجمعة يعظمونه كتعظيمنا يوم الأحد، وهو عندهم يوم عظيم، وأرى لهم من الرأي أن تُكْمِن لهم كمينا مما

(١) الدِّينَوَرِيّ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد ،(٢١٣ – ٢٨٦ هـ)، المعارف، بيروت لبنان دار الفكر (ص٦٤) .

يلي الجبل المقطم، فإذا دخلوا في صلاتهم يأتي إليهم الكمين ويضع فيهم السيف قال فأجابه الملك إلى ذلك وأقاموا ينتظرون ليلة الجمعة قال.[1] فإذا دخلوا في صلاتهم يأتي إليهم الكمين ويضع فيهم السيف»، «ووجدنا معهما الخِلَع التي وجهها إليهم ابن المقوقس ففرقها خالد على المسلمين وفيها خِلْعَةٌ سنيّة، وكانت لمقدَّم القوم، فأعطاها رفاعة، وساروا حتى قربوا من الجبل المقطم فرأوا جيش القبط، فأرسل خالد رجلاً من قِبَله، وهو نصر بن ثابت، وقال له: امض إلى هذا الملك وقل له: إن العرب أصحاب مدين قد أتوا لنصرتك»، «فلما رفعت رأسي قال لي الوزير: يا أخا العرب، أَوَصَل أصحابك إلى نصرة الملك؟ فقلت: نعم، وهاهم في دير الجبل المقطم».

وفى «المعارف» لابن قُتَيْبَة الدِّينَوَرِيّ (٢١٣- ٢٨٦ هـ) ذكر المحاورة التي أوردها بين عمرو بن العاص والمقوقس قائلا إن عمرو بن العاص، رضي الله عنه، سار في سفح المقطم ومعه المقوقس، فقال له عمرو: ما بال جبلكم هذا أقرع ليس عليه نبات كجبال الشام؟ وعن الليث بن سعد قال سأل المقوقس عمرو بن العاص أن يبيعه سفح المقطم بسبعين ألف دينار فعجب عمرو من ذلك وقال أكتب في ذلك أمير المؤمنين فأجابه عمر عن كتابه إليه في ذلك سله لم أعطاك به ما أعطاك وهي لا تزرع ولا يستنبط بها ماء ولا ينتفع بها فسأله عمرو فقال إنا لنجد صفتها في الكتب إن فيها غراس الجنة فكتب بذلك إلى عمر فأجابه إنا لانعلم غراس الجنة إلا المؤمنين فأقبر فيها من مات قبلك من المسلمين ولاتبعه بشيء فكان أول من دفن فيها رجل من المعافر يقال له عامر فقيل عمرت... إلى آخر الحوار. وبالمناسبة فهناك «مقطم» آخر فى فلسطين يقع قرب قرية بيت عنان وبيت لقيا، فهل كان هناك سمعانٌ إسكافيٌّ آخر وراء انشقاقه هو أيضا ثلاث قطع؟ عفوك اللهم![2] وكانت الجيوش التي بعثها الصديق متماسكة وهي إحدى إنجازات الدولة الهامة، إذ جمعت تلك الجيوش بين مهارة القيادة وبراعة التنظيم، فضلاً عن الخبرة في القتال صهرتها الأعمال العسكرية في حركة السرايا والغزوات التي تعدى بعضها شبه الجزيرة في زمن النبي (فقد كان الجهاز العسكري لدولة الصديق متفوقاً على كل القوى العسكرية في الجزيرة، وكان القائد العام لهذه الجيوش سيف الله المسلول خالد بن الوليد صاحب العبقرية الفذة في حروب الردة، والفتوحات الإسلامية كان هذا التوزيع للجيوش وفق خطة استراتيجية هامة مفادها،

(١) فتوح الشام، دار الكتب العلمية، ط ١،(١٤١٧هـ- ١٩٩٧م (٢/ ٥١)

(٢) الدِّينَوَرِيّ، المعارف، ص ٣٢٢ .

أن المرتدين لازالوا متفرقين كلٌّ في بلده ولم يحصل منهم تحزب ضد المسلمين بالنسبة للقبائل الكبيرة المتباعدة في المكان أولاً، لأن الوقت لم يكن كافياً للقيام بعمل كهذا حيث لم يمضي على ارتدادهم إلا مايقرب من ثلاثة شهور، وثانياً لأنهم لم يدركوا خطر المسلمين عليهم وأنهم باستطاعتهم أن يكتسحوهم جميعاً في شهور معدودة، ولذلك أراد الصديق أن يعاجلهم بضربات مفاجئة تقضي على شوكتهم وقوتهم قبل أن يجتمعوا في نصرة باطلهم، فعالجهم قبل استفحال فتنتهم ولم يترك لهم فرصة يطلون منها برؤوسهم، ويمدون ألسنتهم يلذعون بها الجسم الإسلامي وبذلك طبق الحكمة القائلة: لاتقطَعَنْ ذنب الأفعى وترسلها[1]:

وقد كانت اجنادين اول المعارك الكبيرة في بلاد الشام بين المسلمين والروم فلما انتهى خبر الهزيمة إلى قيصر الروم هرقل وهو في حمص شعر بمدى الكارثة قال الواقدي عن شيخه عبد الحميد: فقلت ليزيد بن أبي حبيب: وقت لك متى قدم عمرو وخالد ؟ قال: لا، إلا أنه قال قبل الفتح. قلت: فإن أبي فأخبرني أن عمرا وخالدا وعثمان بن طلحة قدموا لهلال صفر سنة ثمان. وقال أبو عبيدة لخالد ما لهذا الجيش النازل ببعلبك إلا أنا وأنت أو يزيد فقال له خالد لا بل أنا أسير إليهم فقال أنت لهم فبعثه أبو عبيدة في خمسة آلاف فارس وخرج معه يشيعه فسار معه قليلا فقال له خالد ارجع رحمك الله إلى عسكرك فقال له يا خالد أوصيك بتقوى الله وإذا أنت لقيت القوم فلا تناظرهم ولا تطاولهم في حصونهم ولا تذرهم يأكلون ويشربون وينتظرون أن تأتيهم أمدادهم وإذا لقيتهم فقاتلهم فإنك إن هزمتهم انقطع رجاؤهم وإن احتجت إلى مدد فأعلمني حتى يأتيك من المدد حاجتك وإن احتجت أن آتيك بنفسي أتيتك إن شاء الله ثم أخذ وقد بينا أن خالدا كان فارس الجاهلية ضد الإسلام أنه قال لعمرو ابن العاص: لقد استقر الأمر لمحمد. واتجه الاثنان إلى الإسلام على الرغم من أن كلا منهما يعرف قوته ومكانته بين قومه. وبعد أن رأى خالد وعمرو أن الخيبة هي نصيب الواقف ضد محمد مهما علا شأنه. ذهبا إلى الإسلام، وهذا هو موقف المتدبر للأمر دون حقد ولَدَد. أما الذي يزدحم بالمعاناة حقداً ولدداً فتزيده آيات الله لنصرة منهجه حقداً ولدداً وطيغاناً؛ لأن الله شاء ألا يهديهم. ولذلك تصير كل آية في صف الإيمان والمؤمنين مصدرَ إثارةٍ وغيظ ومرارة في نفوس أهل الكفر.

(١) البشارة برسول الله بين الإشكال و الجحود، (ص٢٤١) .

وهكذا يوطن رسول الله ﷺ أمره تجاه هؤلاء الكفار. إنك يا رسول الله لا تواجه طاقة محدودة ولكنك تواجه طاقة من الشر النامي. ونلحظ أن الحق قد وضع صيانة لاحتمال أن تفكر قلة منهم في الإيمان، لذلك لم يشملهم كلهم بالحكم، ولكن الحكم شمل الكثرة من هؤلاء الكافرين. ولذلك يقول الحق لرسوله: ﴿فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[1] { أي لا تحزن عليهم يا رسول الله. فعلى الرغم من عداوة وشراسة من صادموا دعوته ﷺ ومحاولتهم كل تلك المحاولات، كان لا يكف عن الدعاء لهم: « اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون». وكان لا يكف عن القول: «لعل الله يخرج من أصلابهم من يعبد الله». وقد تم ذلك بالفعل. وكان الصحابة بعد الغزوات الأولى يقول كل منهم للآخر: أنا حزين لأن عمراً أفلت مني ولم أقتله. فيقول الآخر: وأنا حزين لأن عكرمة أفلت مني. ويقول الثالث: وأنا لا أدري كيف أفلت منا خالد بن الوليد. ولم يمكن الحق الصحابة الأوائل من هؤلاء المقاتلين الأشاوس لأنه يدخرهم للإسلام ليحملوا السيف للإسلام مدافعين وناشرين لدعوته. وها هوذا عكرمة بن أبي جهل يتلقى الطعنة الأخيرة في حياته فيضع رأسه على فخذ خالد بن الوليد ويسأله: أهذه ميتة ترضى عني رسول الله؟ إذن فقد أراد الله من عدم تمكين المسلمين منهم في أوائل الغزوات أن يكونوا جنداً للإسلام بقدراتهم القتالية فاستبقاهم أحياء ليخدموا الدعوة. ويقول الحق بعد ذلك:

في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَآ أَغْنَىا عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىا نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾[المسد: ١-٥]. فحكم الله تعالى على هذا الكافر العنيد أنه سيموت على كفره، وسيكون مصيره وزوجته النار، وقد سمع أبو لهب وامرأته هذه الآية، وعرفوا صِدْقها، لكنه مع ذلك لم يؤمن ولو نفاقاً، وقد آمن مَنْ هو أشدُّ كفراً وعناداً، أمثال: عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد وغيرهم [2] فإذا كان القائد من طراز عمرو بن العاص وخالد بن الوليد رداً عليه بما يحفظ لهم ارستقراطيتهم ودينهم. وقدم عمرو المدينة فأخبر أبا بكر بما كان في وجهه وبمقالة قرة بن هبيرة وبمقالة عيينة بن حص وأتى عمرو خالدا حين بعثه أبو بكر إلى أهل الردة فجعل يقول يا أبا سليمان لا يفلت منك قرة بن هبيرة فلما صنع الله بأهل بزاخة ما صنع

(١) [المائدة:٦٨]

(٢) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، (٤/ ٤٢).

عمد خالد إلى جبلي طيء فأتته عامر وغطفان يدخلون في الإسلام ويسألونه الأمان على مياههم وبلادهم وأظهروا له التوبة وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فأمنهم خالد وأخذ عليهم العهود والمواثيق ليبايعن على ذلك أبناءكم ونساءكم آناء الليل وآناء النهار فقالوا نعم ولما اجتمعوا إليه قال خالد أين قرة بن هبيرة القشيري قال ها أنا ذا قال قدمه فاضرب عنقه وقال أنت المتكلم لعمرو بن العاص بما تكلمت به وأنت المتربص بالمسلمين الدوائر ولم تنصر وقلت إن كانت الدائرة على المسلمين فمالي بيدي وجمعت قومك على ذلك ورأسك قومك ولم تكن بأهل أن ترأس ولا تطاع قال يا بن المغيرة إن لي عند عمرو بن العاص شهادة . بلغوا آخر يوم من المفازة قال خالد لرافع بن عميرة: ويحك يا رافع ! ما عندك ؟ قال: أدركت الري ـ إن شاء الله ! فلما دنا من العلمين قال رافع للناس: انظروا هل ترون شجيرة من عوسج كقعدة الرجل فلم يروا شيئا فقال: إنا لله و إنا إليه راجعون ! هلكتم و الله إذا و هلكت ! انظروا فاطلبوها فطلبوا فوجدوها قد قطعت و بقي منها بقية فلما رآها المسلمون كبروا و كبر رافع بن عميرة ثم قال: احفروا في أصلها فحفروا فاستخرجوا عينا فشربوا حتى روي الناس ثم اتصل بعد ذلك لخالد المنازل فقال رافع: فو الله ما وردت هذا الماء قط إلا مرة واحدة ! وردتها مع أبي و أنا غلام فلما بلغ الخالد و المسلمون إلى سوي أغار على أهله و هم بهراء قبيل الصبح و إذا جماعة منهم يشربون الخمر في جفنة لهم قد اجتعوا عليها و مغنيهم يقول: [1]

ألا عللاني قبل جيش أبي بكر لعل منايانا قريب و لا ندري

فقتلهم خالد بن الوليد و قتل مغنيهم و سال دمه في تلك الجفنة ثم سار خالد حتى أغار على غسان بمرج راهط حتى نزل على قناة بصرى و عليها أبو عبيدة بن الجراح و شرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان و خرج خالد بن سعيد ابن العاص بمرج الصفر في يوم مطير يستمطر فيه فتعاوى عليه أعلاج الروم فقتلوه و اجتمع خالد بن الوليد و شرحبيل بن حسنة و يزيد بن أبي سفيان معهم حتى صالحته بصرى على الجزية و فتحها الله للمسلمين فكانت تلك أول مدينة فتحت بالشام ثم ساروا جميعا إلى فلسطين مددا لعمرو بن العاص و عمرو مقيم بالعربات من غور فلسطين و سمع الروم باجتماع المسلمين لعمرو ابن العاص فانكشفوا عن جلق إلى أجنادين و أجنادين بلد

(١) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء (٤/ ٤٢) .

بين الرملة و بيت جبرين من أرض فلسطين و سار المسلمون إلى أجنادين و كان الأمراء أربعة والناس أرباعا إلا عمرو بن العاص كان يزعم أنه جميعهم.

وخالد بن الوليد سيف الله المسلول هازم الروم في اليرموك، وعمرو بن العاص فاتح مصر وليبيا وغيرهم -رضي الله عنهم- لقد التحق خالد وعمرو فيما بعد بحركة السرايا وقادوا بعضها بعد إسلامهم، لقد كانت السرايا والغزوات التي أشرف عليها الحبيب المصطفى ﷺ في حياته تدريباً حياً نابضاً، بل يمكن اعتبارها دورات أركان للقادة الذين فتحوا مشارق الأرض ومغاربها فيما بعد [1].

❊ ❊ ❊

(١) الظاهري، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم، تحقيق: إحسان عباس، دار المعارف، ط١، (مصر، ١٩٠٠ م)، موقع الوراق، ص٤١٦ .

المبحث الرابع:
ثنائية رواية الحديث

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَسْلَمَةَ، أَنَّ رَجُلا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَجَارَ رَجُلا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَعَمْرٌو: لا نُجِيرُ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: نُجِيرُهُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: يُجِيرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بَعْضُهُمْ حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَيَّانَ أَبُو خَالِدٍ الأَحْمَرُ، عَنِ الْحَجَّاجِ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ أَبِي مَالِكٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَسْلَمَةَ، قَالَ: أَجَارَ رَجُلٌ قَوْمًا وَهُوَ مَعَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَأَبِي عُبَيْدَةَ، وَعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، فَقَالَ خَالِدٌ، وَعَمْرٌو: لا نُجِيرُ مَنْ أَجَارَ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: يُجِيرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بَعْضُهُمْ[1]. عن مَسْلَمَةَ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَمَّنَ كَافِرًا فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ: لَا نُجِيرُ أَمَانَهُ فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ الْجَرَّاحُ: لَيْسَ ذَلِكَ لَكُمَا: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: يُجِيرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بَعْضُهُمْ، فَإِنْ أَمَّنَتْهُ امْرَأَةٌ[2].

في صحيح ابن خزيمة من حديث خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وشرحبيل ابن حسنة ويزيد بن أبى سفيان مرفوعًا: « إنّما مثل الذي يصلى ولا يركع وينقر في سجوده: كالجائع لا جمل إلّا مرة أو مرتين فما يغنيان عنه؛ فأتموا الركوع والسجود فأسبغوا الوضوء، وويل للأعقاب من النار، أتموا الركوع والسجود » فقلت لأبي عبد الله: من حدثك بهذا الحديث ؟ قال: أمراء الأجناد: خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة، ويزيد بن أبي سفيان، كل هؤلاء سمعه من النبي ﷺ. يقول خالد بن الوليد: [لقد انقطعت في يدي في مؤتة تسعة أسياف، فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية] صبرت في يدي صفيحة يمانية. [3] وأما معرفة الرجال ووضع كل في محله المناسب له وتكليفه بالمهمة التي يصلح لها فكذلك لا يلحق برسول الله ﷺ أحد فيها . أَنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَانَ يُؤَرَّقُ، أَوْ أَصَابَهُ أَرَقٌ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم، فَأَمَرَهُ: أَنْ يَتَعَوَّذَ

(١) الماوردى، العلامة أبو الحسن، الحاوى الكبير، دار الفكر، (بيروت)، موقع شبكة مشكاة الإسلامية، ج١٤/ ٤٣٠ .

(٢) مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري الحكري الحنفي، أبو عبد الله، علاء الدين (ت: ٧٦٢هـ): شرح سنن ابن ماجه، الإعلام بسنته عليه السلام، تحقيق:كامل عويضة، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، (المملكة العربية السعودية، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م)، ص١٤٧٨ .

(٣) صحيح البخاري (. ٢/ ٣٢٢)؛ سعيد حوى، الرسول ﷺ، (١٤/ ٣٤) .

عِنْدَ مَنَامِهِ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونَ. لَهُ شَاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَحَسَّنَهُ، وَالْحَاكِمُ، وَصَحَّحَهُ. شكا خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله ! ما أنام الليل من الأرق، فقال النبيّ ﷺ: « إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَقُلْ: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظَلَّتْ، وَرَبَّ الأَرَضِينَ وَمَا أَقَلَّتْ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضَلَّتْ، كُنْ لِي جاراً مِنْ خَلْقِكَ كُلِّهِمْ جَمِيعاً أَنْ يَفْرطَ عليّ أَحَدٌ مِنْهُمْ أو أَنْ يَبْغي عليَّ، عَزَّ جارُكَ، وَجَلَّ ثَناؤُكَ وَلا إِلهَ غَيْرُكَ، وَلا إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ». رب قائل لو كان خالد بن الوليد: لان بعضهم قال عندما أرسل أبو عبيدة يطلب المدد: لو كان خالد لانتصر عليهم ولم يطلب مددا أي أن النصر من عند الله سبحانه وليس بقيادة فلان أو غيره . وذلك أن الناس تعلقوا بخالد ونسبوا إليه الانتصارات وكانوا ينسبون إليهم الخوارق فكان عزل لخالد رضي الله عنهما درءا للفتنة . كان خالد بن الوليد في الجزيرة، فلطم ابن أخ له رجلا، فقال عم الرجل: إنما فضل الله قريشا بالنبوة، فأقاده خالد بن الوليد منه، فعفا عنه » قال أبو جعفر: وقد يكون أيضا هذا كان من خالد تواضعا وأدبا منه لابن أخيه، وزجرا منه إياه عن معاودته لذلك، وقد روي عن رسول الله ﷺ، ثم عن عمر من بعده . كَانَ خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ يَضْرِبُ النَّاسَ عَلَى الصَّلاَةِ بَعْدَ الْعَصْرِ، قَالَ: فَقَالَ خَالِدٌ:بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي سَرِيَّةٍ، فَأَصَبْنَا أَهْلَ بَيْتٍ قَدْ كَانُوا وَحَّدُوا، فَقَالَ عَمَّارٌ: هَؤُلاَءِ قَدِ احْتُجِزُوا مِنَّا بِتَوْحِيدِهِمْ، فَلَمْ أَلْتَفِتْ إِلَى قَوْلِ عَمَّارٍ، فَقَالَ عَمَّارٌ: أَمَا لأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَيْهِ شَكَانِي إِلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لاَ يَنْتَصِرُ مِنِّي، أَدْبَرَ وَعَيْنَاهُ تَدْمَعَانِ، فَرَدَّهُ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: يَا خَالِدُ، لاَ تَسُبَّ عَمَّارًا، فَإِنَّهُ مَنْ سَبَّ عَمَّارًا يَسُبُّهُ اللهُ، وَمَنْ يَنْتَقِصْ عَمَّارًا يَنْتَقِصْهُ اللهُ، وَمَنْ سَفَّهَ عَمَّارًا، يُسَفِّهْهُ اللهُ. قَالَ خَالِدٌ: فَمَا مِنْ ذُنُوبِي شَيْءٌ أَخْوَفَ عِنْدِي مِنْ تَسْفِيهِي عَمَّارًا[1]. موسوعة الرد على المذاهب الفكرية وبعث خالد بن الوليد إلى العزى يهدمها، فخرج خالد في ثلاثين فارسا من أصحابه إلى العزى، حتى انتهى إليها فهدمها، ثم رجع إلى النبي ﷺ، فقال: «أهدمت»؟ قال: نعم، يا رسول الله . قال: « هل رأيت شيئا؟» قال: لا . قال: «فإنك لم تهدمها، فارجع إليها فاهدمها » . فخرج خالد بن الوليد وهو متغيظ، فلما انتهى إليها جرد سيفه، فخرجت إليه امرأة سوداء عريانة

(١) علي بن نايف الشحود، موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، (٤٠/ ١٥٣) .

ناشرة شعرها، فجعل السادن يصيح بها . قال خالد: وأخذني اقشعرار في ظهري، فجعل يصيح بها ويقول: أعزى شدي شدة لا تكذبي أعزى ألقي القناع وشمري أعزى إن لم تقتلي المرء خالدا فبوئي بإثم عاجل أو تنصري فأقبل خالد بن الوليد بالسيف إليها وهو يقول: يا عز كفرانك لا سبحانك إني رأيت الله قد أهانك قال: فضربها بالسيف، فجزلها باثنتين، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: « نعم، تلك العزى، قد أيست أن تعبد ببلادكم أبدا » ثم قال خالد: يا رسول الله، الحمد لله الذي أكرمنا بك، وأنقذنا بك من الهلكة، لقد كنت أرى أبي يأتي العزى بخير ماله من الإبل، [1] حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ خُبَيْبِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي الْهُذَيْلِ قَالَ كَانَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ يَتَخَوَّلُنَا فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ قُرَيْشٌ لَيَضَعَنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ فِي جُمْهُورٍ مِنْ جَمَاهِيرِ الْعَرَبِ سِوَاهُمْ فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ كَذَبْتَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ قُرَيْشٌ وُلَاةُ النَّاسِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وفي حديث عمرو بن العاص وخالد بن الوليد [اسْتَقام المَنْسِم وإنّ الرجُلَ لَنَبِيٌّ] معناه تَبَيَّن الطريق يقال: رأيتُ مَنْسِماً من الأمْر أعْرِف به وَجْهه: أي أثَراً منه وعلامة . والأصل فيه من المَنْسِم وهو خُفُّ البعير يُسْتَبان به على الأرض أثَرُه إذا ضَلَّ. عن أمراء الاجناد: عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان قالوا: رآى رسول الله ﷺ رجلا لا يتم ركوعه وينقر في سجوده وهو يصلي فقال: لو مات هذا على حاله هذه مات على غير ملة محمد [ينقر صلاته كما ينقر الغراب الدم] مثل الذي لا يتم ركوعه وينقر في سجوده مثل الجائع الذي يأكل التمرة والتمرتين ل ايغنيان عنه شيئا رواه الآجري في الأربعين والبيهقي بسند حسن وقال المنذري رواه الطبراني في الكبير وأبو يعلى باسناد حسن وابن خزيمة في صحيحه حَدِيثُ أَبِي عبد الله الأشعَرِي، عَنْ أمراء الأجناد: عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد، ويزيد بن أبي سفيان، وشرحبيل بن حسنة [2]؛ أسبغوا الوضوء. ويل للأعقاب من النار. أتمو الركوع والسجود[3]. هل يظن المسلمون أن الرعيل الأول من المسلمين لم يكونوا على علم واسع

(١) الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد ،(ت: ٢٠٧هـ)، فتوح الشام، دار الكتب العلمية، ط ١،(١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، ج٢/ ص٢١٩ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) الصَّلاَّبي، علي محمد، أبوبكر الصديق رضي الله عنه شخصيته وعصره (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، ج٥، ص ٧٣ .

بعدوهم ومقدرته ومعرفة طبيعته من كل الجوانب،ألم يكن أبو بكر – رضي الله عنه – عالماً بأنساب العرب تفصيلاً ؟ وهذا أمر مهم للدعوة. ألم تكن قريش – بسبب تجارتها – تعرف أرض فارس والروم، وطرق المواصلات وخصائص تلك الشعوب ؟ ألم يكتب عمر – رضي الله عنه – لسعد بن أبي وقاص طالباً منه وصف أرض العراق وأرض المعركة كأنه يراها ؟ ألم يُعين القادة الفاتحون أمثال خالد وعمرو بن العاص ويزيد بن أبي سفيان – رضي الله عنهم – من أولي الخبرة الشخصية القيادية؟ ولم يؤمَّر من هو أعلم منهم في أمور الدين. فلماذا تترك أمور خطيرة لأصحاب النوايا الطيبة ممن ليس عندهم الخبرة الكافية [1].

وقد أمر النبي ﷺ عمرو بن العاص وخالد بن الوليد كثيراً ولم يؤمر أبا ذر وأبو ذر أفضل خير منهما بلا شك وأيضاً فإنما وجبت طاعة الخلفاء من الصحابة رضي الله عنهم في أوامرهم مذ ولوا لا قبل ذلك ولا خلاف في أن الولاية لم تزدهم فضلاً على ما كانوا عليه وإنما زادهم فضلاً عدلهم في الولاية لا الولاية نفسها وعدلهم داخل في جملة أعمالهم التي يستحقون الفضل بها ألا ترى أن معاوية والحسن إذ وليا كانت تركتهم يرحلون. فلم أزل نائما حتى جاء، وانظر إلى سياسة الرسول ﷺ من قريش لقد كان همه ﷺ جذبهم للإسلام، وإرشادهم إليه، والإبقاء على قوتهم والبعد عن إذلالهم؛ لما كان يرجوه ﷺ من أن يكونوا عصب الدين، وقبيلة الإسلام، ورجال الحكم من بعده، ولذلك لم يتعمد قط إذلالهم ولا تنفيرهم من الدين، ولا تحطيم قوتهم، ومن ذلك أنه ﷺ لم يستعجل العذاب لهم، والدعاء عليهم، وأخذه الفداء من أسراهم في بدر[2]، واللين معهم في صلح الحديبية، والعفو عنهم في الفتح، وتولية المناصب العليا لهم بمجرد إسلامهم كما فعل مع خالد وعمرو بن العاص وعكرمة بن جهل. . إلخ وشرح هذا يطول والمهم هنا هو كشف جانباً من السياسة النبوية الحكيمة في الدعوة نحن نعلم أن هذا الكلام لن يعجب الكثيرين من الناس، ولكن لابدّ من قول كلمة الحق، ولابد من النصح لخاصة المسلمين وعامتهم، ولا نقصد من النصح – علم الله – تجريحاً لفرد أو جماعة .

٣ـ إن وصف الطلقاء لا يقتضي الذم، فإن الطلقاء هم مسلمة الفتح الذين أسلموا عام فتح مكة وأطلقهم النبي ﷺ، وكانوا نحو من ألفي رجل، ومنهم من صار من خيار المسلمين كالحارث بن

(١) الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٣، ص١١٩ .
(٢) الصالحي، محمد بن يوسف، سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، موقع يعسوب، ج٩، ص٤٢٥ .

هشام وسهيل بن عمرو وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل، ويزيد بن أبي سفيان وحكيم بن حزام، وأبي سفيان بن الحارث، ابن عم النبي ﷺ الذي كان يهجوه ثم حسن إسلامه، وعتاب بن أسيد الذي ولاه النبي مكة لما فتحها، وغير هؤلاء ممن حسن إسلامهم.

٤ ـ إن النظرة الإسلامية في هذا الشأن أن الإسلام يجب ما قبله، ويفسح المجال للإفادة من جميع الطاقات والقدرات ويدفع بها نحو تحقيق غاياته الكبرى، وينزل الناس منازلهم، وأن خيار الناس في الإسلام خيارهم في الجاهلية إذا فقهوا، ولم يمنع تأخر إسلام خالد وعمرو بن العاص من تبوئهما المكانة العالية عند النبي ﷺ، فأرسل عمراً أميراً على ذات السلاسل، وسمّى خالداً سيف الله. . هذا مع حفظ المكانة الأسمى والمنزلة العظمى للسابقين الصادقين في الإسلام، ومن هؤلاء السابقين كان جماعة من بني أمية وغيرهم، كما كان من الطلقاء بني أمية وغيرهم[1].

قال الواقدي: فوثب الفضل بن العباس رضي الله عنه وقال: أيها الأمير انا بذلنا أنفسنا في رضا الله عز وجل وما نريد بذلك إلا رفعة عند الله عز وجل وإن خالدا من أخيارنا ولو أمرت علينا عبدا حبشيا لامتثلنا أمره في رضا الله عز وجل فناهيك بخالد وهو سيد من سادات قريش عزيز في الجاهلية والإسلام فتهلل وجه خالد وعمرو فرحا ثم أمرهم بالنزول جميعا بأرض الجيزة قريبا من الهرم الشرقي وأقبلوا يضربون خيامهم حوله حتى تكاملت العساكر رضي الله عنهم أجمعين. فرسانا فساروا حتى قربوا من القوم والتقوا بالمسلمين فوجدوهم قد كسروا الروم كما ذكرنا ثم جمع المسلمون الأسلاب والسلاح والخيل ورجعوا إلى أصحابهم وهم فرحون بالنصر على أعدائهم. قال الراوي: فلما رجع المسلمون إلى العسكر وكان معهم ستمائة أسير أعلن المسلمون بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير فأجابهم المسلمون كذلك ولما عاينوا الاسلاب والاسارى معهم فرحوا بذلك وسلم بعضهم على بعض وتلقاهم عمرو وخالد وباقي الأمراء تفاءلوا بالنصر وقدموا الأسارى وعرضوهم على عمرو وخالد واوقدوا النيران بالمرج وباتوا يقرءون القرآن ويتضرعون إلى الله الواحد المنان وليس فيهم إلا من هو راكع أو ساجد. قال الراوي: هذا ما جرى لهؤلاء وأما المنهزمون فإنهم مضوا إلى البطارقة والملوك وأخبروهم بما وقع من أمرهم فعظم عليهم من

(١) الواقدي، فتوح الشام، ج٢، ص٢١٩ .

قتل واستعدوا للقتال وركبوا خيولهم وابلهم وافيالهم وتزينوا بزينتهم وساروا يجدون المسير وقد اكثروا الطبول والزمور والصنوج. كان عمرو بن العاص – رضي الله عنه – وهو يمثل في تلك المرحلة عداوة الله ورسوله ﷺ على مستوى كبير من الذكاء والدهاء والمكر، وكان قبل دخول جعفر وحديثه قد شحن كل ما لديه من حجة، وألقى بها بين يدي النجاشي[1]. – كان خالد بن الوليد القائد العسكري لجيش المشركين في غزوة أحد، ولأنه أسلم أصبح قائداً عسكرياً مسلماً دون أن تكون عنده خدمة طويلة، فالإسلام ضد إيجاد مبررات كقضية الأقدمية، أو الانتماء العرقي لمنع كفاءة قائد متميز، والمساواة الإسلامية هي التي جعلت كثيراً من الشعوب تدخل في الإسلام لأن الإنسان عندما يصبح مسلماً يكون له ما للمسلمين ذوي الأقدمية، وعليه ما عليهم، ولكن بعض المتدينين الكويتيين وغيرهم لا يهتمون اليوم بالقضايا الإسلامية الرئيسة المتعلقة بالمساواة والحرية والشورى والعدل، ويركزون تقريباً كل جهودهم على العبادات والعقيدة، أي كأنهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعضه فلا نجد للإسلاميين صوتاً تقريباً في قضايا حقوق الإنسان، أو في محاربة تجار الإقامات، وإذا أخذوا مواقف فأغلبها مواقف رخوة، بل إن بعضهم نجد عنده عنصرية أشد من عنصرية جنوب أفريقيا سابقاً في حين أن من بديهيات الإسلام أنه جعل الناس متساويين فأصبح القرشي الغني صاحب المنصب يتساوى في الحقوق والواجبات مع فقراء العرب والعجم [2] كان خالد بن الوليد يستبشر بالصداع وبالحمى، وهي علامة الخير في الرجل؛ لأن المنافق دائماً بدين سمين لا يتأثر أبداً، تجده في الحياة منعماً يعيش في رغد لكنها في الحقيقة عذاب، وحياة ضنك ولو أنها في الظاهر رغد، قالت الحُكماء: أصلُ الزُهد الرِّضا عن اللّه. وقال الفُضَيل بن عِياض: استَخيروا الله ولا تتخيروا عليه، فرُبما اختار العبدُ أمرًا هلاَكُه فيه. وقالت الحكماء: رُبَّ مَحْسود على رَخاء هو شَقاؤه، ومَرْحُوم من سُقم هو شِفاؤه، ومَغْبُوط بنِعْمَة هي بَلاَؤُه [3] يقول أبو تمام، حبيب بن أوس:

(١) الأزرقي، أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، إعداد موقع روح الإسلام، ج١، ص١٧٥ .

(٢) الواقدي، فتوح الشام، ج٢، ص١٩ .

(٣) العقد الفريد للأندلسي (١/ ٣٣١) .

قد ينعم الله البلوى وإن عظمت ويبتلي الله بعض القوم بالنِّعَمِ

والحمى تأتي الصالحين كثيراً، وسبب موت أبو بكر الصديق رضي الله عنه بالحمى فقد دخل عليه الصحابة وقالوا له: «يا خليفة رسول الله! ماذا يوجعك؟ قال: الطبيب يدري، قالوا: أشكيت أمرك إلى الطبيب؟ قال: نعم. قالوا: ماذا قال؟ قال: إني فعال لما أريد» هو الله عز وجل، واهتم المسلمون اهتمامًا خاصًّا باختيار القادة الأكفاء، تبعًا لمواصفات خاصة لا تتوفر إلا في قلة من الناس، كالشجاعة، والذكاء، وقوة الشخصية، والدهاء، وحسن التخطيط، والولاء التام للدين الإسلامي من أمثال: خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وسعد بن أبي وقاص،وغيرهم ممن كان لهم فضل كبير في نشر دين الله في كل مكان. وقائع المعركة في ظل مبادئ الإسلام و يملكون سرعة الاستجابة، وخلاصة القول في ثنائية خالد وعمرو، أن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم عمل على تغيير الفكر إلى أن وصل إلى مرحلة أن الذي كسر الأصنام هم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وغيرهما من الذين كانوا يعبدونها من قبل.[1] والحمد لله في البدء والختام.

❊ ❊ ❊

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، (١١/ ٢٦٠)؛ الجراوي ،الحماسة المغربية، (ص ١٢٤) .

الخاتمة ونتائج البحث

وبعد هذه الجولة السريعة في ظلال سيرة الصحابيين الجليلين، خالد وعمرو... يطيب لي في النهاية المطاف إبراز بعض جوانبها ،وأن أوضح أهم ما توصلت إليه من نتائج وأذكرها:كشفت هذه الثنائية عن لطائف ومواقف رجلين من سادات العرب في الجاهلية والإسلام، وقائدين عرف التاريخ الإسلامي قدرهما ومكانتهما، فهما يملكان عبقرية نادرة، وحُنْكة بالغة، وجرأة نادرة، وشجاعة فائقة، اهتم الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم في مخاطبة النفوس والتأثير عليها، وكان عليما في خصال وصفات الرجال من الصحابة الكرام، لذا أدرك مواهب خالد في القيادة والزعامة فوعد بتمكينه من ذلك وتقديمه على غيره في هذا المضمار، ومدح ﷺ سداد رأيه ورجاحة عقله، ونضج فكره، فانتزع ﷺ بهذه الكلمات كل الجوانب التي تجعل خالدًا يظل على الشرك الذي لم يكن مقتنعًا به إلا بمقدار ما حصل له فيه من قيادة وتصدر، وبمجرد أن دخل الإسلام بدأ رسول الله ﷺ يسلمه قيادات، وهو الذي أنقذ المسلمين يوم مؤتة، وسماه رسول الله ﷺ سيف الله المسلول; وقد لمع اسمه كثيراً في تاريخ الفتح الإسلامي فيما بعد، مثل قائد فتوحات الشام،، و هازم الروم في اليرموك، وعمرو بن العاص فاتح مصر وليبيا -رضي الله عنهم- لقد التحق خالد وعمرو بحركة السرايا وقادوا بعضهما بعد إسلامهم، وأشرف عليهما الحبيب محمد عليه الصلاة وأتم التسليم، لقد كانت السرايا والغزوات التي أشرف عليها الحبيب المصطفى ﷺ في حياته تدريباً حياً نابضاً، بل يمكن اعتبارها دورات للقادة الذين فتحوا مشارق الأرض ومغاربها فيما بعد، وأصبحت عبقرية هذه القيادات لا مثيل لها في كل تصرف من تصرفاتها الصغيرة والكبيرة، كان رسول الله يعرف لعمرو شجاعته وقدرته الحربية، فكان يوليه قيادة بعض الجيوش والسرايا، وكان يحبه ويقربه، ويقول عنه: (عمرو بن العاص من صالحي قريش، نعم أهل البيت أبو عبد الله، وأم عبد الله، وعبد الله) وقال ابنا العاص مؤمنان، عمرو وهشام . . . وهذه خلاصة لما توصلت إليه من نتائج أسجلها في نهاية البحث، وأرجوا الله أن يهدي بها إلى الأمن والسعادة، والصلاح والرشاد، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله عَلَى سيدنا محمد خير خلقه وآله وصحبه أجمعين، حسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إِلاَّ بالله العلي العظيم.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

١- السبكي: علي بن عبد الكافي، الإبهاج في شرح المنهاج، الناشر: دار الكتب العلمية ،ط١، بيروت، ١٤٠٤ .

٢- الأزرقي، أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد، أخبار مكة، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط١ .

٣- القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري، (ت ٤٦٣ هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ،تحقيق:علي محمد البجاوي، دار الجيل، ط١، (بيروت، ١٤١٢) .

٤- الزركلي، خير الدين، الأعلام، (بيروت لبنان، ط١ ١٩٨٩) .

٥- د. علي محمد الصلابي، أبوبكر الصديق رضي الله عنه شخصيته وعصره عصر الخلفاء الراشدين.

٦- أبو الربيع، سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، تحقيق: د . محمد كمال الدين عز الدين علي، عالم الكتب، ط١، (بيروت - ١٤١٧هـ) .

٧- العسقلاني، للامام الحافظ أحمد بن علي بن حجر، (ت سنة ٨٥٢ هـ)، الاصابة في تميز الصحابة، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض قدم له وقرظه الاستاذ الدكتور محمد عبد المنعم البري و عبد العتاح أبو سنة، جامعة الازهر، دار الكتب العلمية، بيروت .

٨- السيوطي، عبد الرحمن ابن أبي بكر أبو الفضل، إسعاف المبطأ برجال الموطأ، المكتبة التجارية الكبرى، (مصر، ١٣٨٩ - ١٩٦٩) .

٩- أسد الغابة، ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، (ت ٦٣٠هـ)، تحقيق:عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي، ط١، (بيروت - لبنان، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م) .

١٠- ابن عساكر، تصنيف الامام العالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد

الله الشافعي، (ت ٤٩٩ ه)، تاريخ مدينة دمشق –٥٧١ه)، دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م) .

١١– الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الطبعة التونسية، دار سحنون للنشر والتوزيع، (تونس – ١٩٩٧ م) .

١٢– النووي، للعلامة أبى زكريا محيي الدين بن شرف، (ت ٦٧٦ هـ)، تهذيب الأسماء واللغات للنووي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا .

١٣– الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، (ت ٧٠٠ –٧٧٤ هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، (١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م).

١٤– الماوردى، العلامة أبو الحسن الماوردى، الحاوى الكبير، دار الفكر، (بيروت) .

١٥– الشافعي، محمد بن عمر بحرق الحضرمي، حدائق الأنوار ومطالع الأسرار فى سيرة النبى المختار، دار الحاوي، (بيروت – ١٩٩٨م) .

١٦– الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد، (ت: ٢٠٧هـ)، فتوح الشام، دار الكتب العلمية، ط١، (١٤١٧هـ – ١٩٩٧م) .

١٧– الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر، (بيروت – ١٤١٢هـ) .

١٨– الإمام الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد، المستدرك، تحقيق: الإمام الذهبي شمس الدين أبوعبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز .

١٩– النيسابوري، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، الكشف والبيان، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، ط١، (بيروت – لبنان – ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م) .

٢٠– الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، (بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م) .